التَنكُرُ في بِلادِ الشّامِ عَصر الحُروبِ الصَّلِيبيةِ (١٠٩٧-١١٩٢م/ ٤٩٠-٥٨٨ هـ).

إعداد

د. ياسر كامل محمود

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الوادي الجديد

Email:yasserkamel5000@art.nvu.edu.eg

DOI: 10.21608/aakj.2023.231259.1522

تاريخ الاستلام : ٢٣/ ٨/٢٠٢٣م

تاريخ القبول : ٢/ ٩ /٢٠٢٣م

المستخلص

تُناقش هذه الورقة البحثية واحدًا من الموضوعات التاريخية التي لم تنل اهتمام الباحثين، وهو"التنكر في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية خلال الفترة الممتدة منذ حصار الصليبيين لمدينة نيقية سنة ١٠٩٧م، وحتى عقد صلح الرملة بين المسلمين والصليبيين سنة ١١٩٢م. ورغم ندرة الإشارات المصدرية، فقد حاول الباحث تقديم دراسة مُرضية عن الموضوع، وتضمنت الدراسة محاور عدة، بدأتها بتعريف التنكر لغةً واصطلاحًا، ثم تناولت في صورة موجزة صورًا لبعض مظاهر التنكر قبيل العصر الصليبي، ثم تناولت الدراسة بالتفصيل أهم الأسباب والأهداف والغايات التي دفعت المسلمون والصليبيون إلى التنكر، فتناولت بالشرح التنكر لأسباب سياسة، وعكسرية، واستخباراتية، وإدارية، ولدواعي أمنية وانتقامية وغيرها من الدوافع والأغراض. كما ألقت الدراسة الضوء على أشكال التنكر وآلياته.

الكلمات المفتاحية: التنكر، التخفي، التلثم، بلاد الشام، الحروب الصليبية.

Abstract:

Disguise in Levant in the Era of the Crusades (1097-1192 AD / 490-588 AH)

This paper discusses one of the historical topics that did not get the attention of the researchers, which is "disguise in Levant, the era of the Crusades during the period extending from the siege of the Crusaders to the city of Nicaea in the year 1097 AD, until the peace treaty of Ramla between the Muslims and the Crusaders in the year 1192 AD. Despite the scarcity of the source references, it has The researcher tried to provide a satisfactory study on the subject, and the study included several axes, starting with defining disguise linguistically and idiomatically, and then dealing in a brief form with pictures of some manifestations of disguise before the Crusader era. Then the study dealt in detail with the most important reasons, goals, and objectives that prompted the Muslims and the Crusaders to disguise themselves, and dealt with an explanation of the disguise for political, military, intelligence, and administrative reasons, and for reasons of security, revenge, and other motives and purposes. The study also sheds light on the forms and mechanisms of disguise.

Keywords: Disguise, Concealment, Obscurity, Levant, Crusades

مقدمة

الَتنكُّرُ ظاهرةٌ طبيعيةٌ ضاربةٌ في القِدَمِ ومعروفة في بيئات حية مختلفة. فكثير من الحيوانات والحشرات والطيور وحتى النباتات مارست أسلوب التنكر والتَخّفي والتمويه؛ من أجل البقاء على حياتها، وضمان استمرار نوعها وفصيلتها، ويكون الغرض إما الإفلات من الفرائس، أو اصطياد فريسة. وعلى مستوى المجتمع البشري عرف الإنسان التنكر ومارسه وطوّره؛ مُعتمدًا على ذكائه وقدراته العقلية في التَخّفي والتمويه لتحقيق أهداف ومآرب لا تتحقق إلا بالحيلة.

وتكمن أهمية الدراسة في كون التنكر حيلة من حيل المكر المشروعة التي استخدمها المسلمون والصليبيون على حد السواء خلال صراعهم؛ وذلك لتحقيق أغراض سياسية، وعسكرية، واستخباراتيه، وإدارية، وغيرها من الأغراض، على نحو كشف عن أن التنكر كان أحد الأسلحة التي أُستخدمت في الصراع بين الجانبين.

ورغم أهمية موضوع التنكر، فإنه لم يحظ بالدراسة لا عربيًا ولا أجنبيًا. ومن هنا رأى الباحث أن يُسّلط الضوء على هذه الظاهرة، لدراسة أسبابها، ودوافعها، وأشكالها وآلياتها، ومآلاتها؛ معتمدًا في ذلك على الإشارات المصدرية المتناثرة في ثنايا المصادر التي وَثّقت تاريخ الحروب الصليبية من الجانبين الإسلامي والصليبي.

والواقع أن هناك دراستين قَيّمَتين ومُهمتين أهدتا الباحث فكرة موضوع التنكر في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية (١٠٩٧-١١٩٢م/٤٩٠-٥٨٨هـ) وهما: دراسة وسيم عبود عطية[١] "التنكر في العصر الفاطمي". ودراسة حيدر لفته سعيد مال الله[٢] عن "دواعي التنكر في العصر الأموي". وقد عَنيت الدراسة الأولى بالتنكر في العصر الأموي، وبالتالي هي بعيدة زمنيًا عن موضوع دراستي. أما الدراسة الثانية فتقف عند عام ١١٧١م/٥٦٧هـ، وهي دراسة ركّزت حسب طبيعة موضوعها على التنكر ببلاد المغرب ومصر خلال العصر الفاطمي، ولم تتطرق إلى بلاد الشام عصر الحروب الحروب الصليبية.

وطبقًا لطبيعة الدراسة تطلب الأمر تقسيمها إلى ثلاثة محاور، تتقدمها مقدمة تلقي الضوء على أهمية الموضوع والدراسات السابقة، وخاتمة تتضمن ما توصلت إليه الدراسة من نتائج. أما المحور الأول فيتناول تعريف التنكر لغة واصطلاحًا، وكذلك ما يتعلق بالمفردات والمصطلحات التي تتعلق بالتنكر، والمحور الثاني يعالج أهداف التنكر وأغراضه ودوافعه مع ذكر أمثلة توضيحية لكل دافع أو غرض، والمحور الثالث يتناول أشكال التنكر وآلياته، والمحور الرابع والأخير يُلقي الضوء على محاولات التصدي لعمليات التنكر عند الجانبين الإسلامي والصليبي.

أولا: التنكر: لغةً واصطلاحًا

التَنَكُّر من الفعل تنكَّرَ، يتنكَّرُ، تنكُّرًا، فهو مُتنكِّر، والمفعول مُتنكَّر له، وتَنَكَّرَ أي تَّغُير إلى مجهول(٣). والتنكر في اللغة يعني أيضًا التَغيّر والتَحوّل، فيُقال: تَنَكَّر أي تغيّر عن حالِه أو زِيه حتى لا يُعرف(٤). وقد ورد لفظ التنكر بمشتقاته المختلفة في القرآن الكريم في عدة مواضع. منها على سبيل المثال لا الحصر قوله جل وعلا: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾(٥). وجاء في تفسير قوله (فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) أن إخوة يوسف لم يعرفوا أخاهم، لطول المدة وتغيُّر هيئته(٦). وقيل رأوه يرتدي الحرير، وفي عنقه طوق من ذهب، وعلى رأسه تاج، وقد تزّيا بزّي فرعون مصر، فلم يعرفوه، بينما عرفهم هو لأنه رآهم على ما كان عهدهم في الملبس والهيئة(٧).

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَنَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾(٨). ذكر الطبري في تفسيره أن سليمان عليه السلام قال لجنده لما أُتي له بعرش بلقيس ملكة سبأ، وقدمت هي عليه: غيّروا لهذه المرأة عرشها، وقيل: أنه أمرهم أن يزيدوا في عرشها وينقصوا منه، ليختبر رجاحة عقلها(٩).

ويأتي التنكر بمعنى التَخّلي والجحود والإعراض والنُكران كقول الشاعر(١٠):

تنكَّرِ لي دهري ولـــــم يَدْرِ أنني أعزُّ وأحـــــداثُ الزمانِ هَـــونُ

فباتَ يُريني الخطبَ كيف اعتداؤُه وبتُّ أريهِ الصـــــبرَ كيفَ يكونُ

أما التنكر اصطلاحًا فهو حالة من التواصل يبدو فيها الكائن في هيأة غير هيئته الطبيعية بدافع الاضطرار، أو الرغبة في تحقيق الفعّالية التواصلية؛ لتحقيق مآرب يصعب تحقيقها بالاعتماد على الظهور بالمظهر الحقيقي(١١).

ويرتبط مصطلح التنكر ببعض المفردات والمصطلحات الأخرى التي تُعبّر عن المعنى ذاته، كالتَخفّي أو الاستخفاء Invisibility or incognito، والتَمّويه Camouflage والتَلثُّم Embargo، والتَقنُّع Mask، والتَنقُّب أو لبس النقاب Burqas(١٢). إلى غيرها من المعاني والألفاظ التي ترتبط بفكرة التنكر. ويبدو أن اللفظ الأجنبي نفسه قديم، ففي اللغة اللاتينية القديمة يوجد لفظ Dissimula بمعنى التَنكُّر، ومنه أُشتقت الكلمة الإنجليزية Disguise، والكلمة الفرنسية Déguisement وكلها ألفاظ ومصطلحات ستدخل في إطار هذه الدراسة أيضًا.

والواقع؛ أن فكرة استخدام التنكر واللجوء إليه في الحياة عامة والحروب خاصة هي فكرة قديمة. فالحكايات الشعبية خلّدت في ثقافات عديدة ظاهرة التنكر. ففي الحكايات الشعبية اليهودية القديمة تظهر الملكة بلّقيس متنكرة في هيئة الرجال، ولا تكتف بذلك، بل إنها ترسل إلى سليمان الملك مجموعة من الجواري في هيئة الرجال، ومجموعة من الغلمان في هيئة النساء، وتطلب منه فكّ الرموز وإثبات حكمته(١٣). وفي التوراة يتنكر يعقوب النبي ليخدع أبيه الضرير إسحاق ويسرق النبوة من أخيه إسماعيل(١٤). كذلك ينقل لنا العهد القديم تنكر نبي الله يوسف في قناع من الذهب، وثوب فرعوني حتى لا يعرفه أخوته(١٥). كما نقرأ في سفر الملوك الأول عن تنكر ملك إسرائيل ودخوله الحرب(١٦)، وفي العهد الجديد نقرأ عن تنكر القديس بولس (شاؤل) ولبسه ثيابًا أخرى وذهابه هو ورجلان معه إلى امرأة ليلًا لإنقاذها(١٧).

كذلك رأينا في صدر الإسلامي من كان يعمد إلى أسلوب التنكر. ففي عهد النبوة تَنكَّر علي بن أبي طالب وهو صبي في بُردة النبي صلى الله عليه وسلم، ونام في فراشه ليلة الهجرة إلى المدينة، ليُلّبس أمر هجرته على مشركي مكة[١٨]. وفي غزوة الخندق سنة ٥هـ أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابي نُعَيْمُ بن مَسعودِ، وكان لا يزال حديث عهد بالإسلام، فتظاهر أنه لايزال على دين قريش، ونجح في إفشال الحِلف الذي كان بين قريش واليهود؛ مما كان له الأثر في هزيمة قريش وانسحابهم مخذولين[١٩].

وفي العهد الراشدي (٦٣٢-٦٦٠م/١١-٤٠هـ)، وتحديدا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (٣٣٤-٦٤٢م/١٣-٢٢هـ) ولدواعٍ عسكرية اُستخدم التنكر خلال حرب المسلمين مع الفرس بالقادسية سنة ٦٣٥م/١٤هـ، وكذلك عند فتح مدينة تستر[٢٠] سنة ٦٣٨م/١٧هـ، وأثناء معركة نهاوند[٢١] سنة ٦٤٢م/٢١هـ[٢٢].

وعقب معركة الجمل سنة ٦٥٧م/٣٦هـ بعث علي بن أبي طالب بالسيدة عائشة إلى المدينة ومعها عشرين امرأة من نساء عبد القيس عمّمهُن بالعمائم وقلّدهن بالسيوف فلما كانت ببعض الطريق قالت هتك ستري برجاله، فلما وصلت المدينة ألقت النسوة بعمائمهن وقلن لها: إنما نحن نسوة".[٢٣]. وعندما أراد عبيد الله بن زياد والي الكوفة دخول البصرة ليمنع بيعة أهلها للحُسين بن علي، اضطر لدخولها سنة ٦٨٠م/٦٠هـ مُتخفيًا ومُتلثما بعمامة سوداء، حتى ظنه الناس الحُسين بن علي، فكان كلما مرّ على ملأ من الناس وألقى عليهم السلام، قالوا: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله، وهم يظنون أنه الحسين، فلما دخل المسجد كشف النقاب عن وجهه فتفاجأة الناس به وتفرقوا عنه [٢٤]، كذلك كَثُر التنكر في العهدين العباسي والفاطمي، ومنها تنكر الخليفة العباسي هارون الرشيد، الذي كان يُكثر من دخول سوق بغداد متخفيًا في زي التُجّار أو الدروايش هو ووزيره ليتفقد أحوال رعيته[٢٥]. كما يحدثنا الطبري ضمن أحداث سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م عن تنكر إبراهيم بن المهدي في زيّ النساء، ودخوله بغداد مُتنقبًا مع امرأتين، ويبدو أن عدم إجادته لفن التنكر في هذه الهيئة جعلت أحد الحُراس

يرتاب فيه، ويسأله عن هويته وما يُريده، مما دفع بإبراهيم أن يدفع بخاتم له من ياقوت للحارس، حتى يُخلي سبيلهن، فلما نظر الحارس إلى الخاتم جعل يقول هذا خاتم رجل له شأن، فرفعهن إلى صاحب المسلحة (الشرطة)ـ فأمرهن أن يُسفرن، فتمنع إبراهيم، فجبذه صاحب المسلحة، فبدت لحيته، فحملوه إلى الخليفة المأمون[٢٦]. وكذلك كثر التنكر في العهد الفاطمي على نحو دفع أحد الباحثين المحدثين إلى تقديم دراسة قيمة عنه[٢٧].

وبغضّ النظر عن التوظيف الأيديولوجي لبعض هذه الأخبار، فإنها تدّل على أن فن التنكر مُورس وبطرق مختلفة منذ أقدم العصور مرورًا بالعهد النبوي والراشدي والأُموي وحتى العصر العباسي والفاطمي.

أما عصر الحروب الصليبية – موضوع الدراسة– فقد شهدت بلاد الشام خلاله تفشي ظاهرة التنكر والتخفي على نحو أثّر في الصراع الإسلامي–الصليبي. وسيتضح ذلك من خلال عرض لأهم أغراض ودوافع هذه الظاهرة.

ثانيًا: أسباب التنكر ودوافعه

أ- التنكر لغرض التجسس:

مثّل فن التنكر أحد أهم أساليب العمل الاستخباراتي، حيث مارسه العيون والجواسيس من المسلمين والصليبيين إبان الفترة قيد الدراسة على نطاق واسع، لتحقيق مكاسب سياسية. وتكمن أهمية التنكر في أنه يمنح الجاسوس أفضلية المُراقَبة المُستترة والمُتلصِّصة على معكسر الأعداء. وتكشف الأحداث عن مدى فعالية هذا الفن في تقصي أخبار العدو ورصد تحركاته، وتوصيل الرسائل للخصوم والأعداء، وضرب معنويات العدو النفسية. ولأهميته تلك وجب على العيون والجواسيس امتلاك قدرات خاصة في فن التنكر والتخفي والتلون، لاخفاء شخصياتهم الحقيقية، من خلال تغيير، ربما الشكل، أو الملبس، أو اللغة، أو نبرة الصوت، أو غيرها من مظاهر التنكر[٢٨].

لذلك كثيرًا ما كان العاملون بوحدة الجواسيس الإسلامية يتنكرون في هيئات وأشكال مختلفة، حسب طبيعة المهمة الموكولين بها[٢٩]. فلضرب معنويات الجيش الصليبي المُحاصِر لمدينة نيقية سنة ١٠٩٧م/٤٨٨م، أرسل السلطان السلجوقي قلج أرسلان[٣٠] رجلين من جماعته تخفوا في زي الحجاج الصليبيين للتجسس على قوة الجيش الصليبي، ولتوصيل رسالة إلى الجيش الصليبي مفادها أن كُفّوا عن الحصار وإلا سيكون مصيركم مصير جيش بُطرس الناسك Peter The Hermit[٣١]، وقد نجح الجاسوسان المتنكران في توصيل الرسالة إلى المعسكر الصليبي، وكادت الحيلة أن تنجح لولا كشف الصليبيين لهوية المُتنكِرَين[٣٢].

ما يهمنا هنا هو توظيف الجانب الإسلامي للملبس كأداء للتنكر. فتخفي الجاسوسين في لباس الحجاج الصليبيين، ساعدهما بلا شك في دخول المعسكر الصليبي، وتوصيل الرسالة التي أراد السلطان السلجوقي توصيلها، والتي ما كان لها أن تصل إلا بهذه الحيلة. كذلك يكشف التنكر في هذا الزّي أن الحجاج الصليبيين كان لهم زّي خاص بهم يميزهم عن غيرهم. كما يكشف عن وعي المسلمين المبكر بأنواع الأزياء المختلفة التي كان يرتديها الصليبيون.

لم يكن توظيف الجانب الإسلامي للملبس كأداء للتنكر قاصرًا على جاسوسيّ نيقية فحسب. فالصليبيون عانوا كثيرًا من جواسيس متنكرين آخرين. فها هو المؤرخ وليم الصوري يعترف بحالة الهلع والذُعر وعدم الاستقرار التي شهدها المعسكر الصليبي إبان حصارهم لأنطاكية سنة ١٠٩٧م/٤٨٨هـ. بسبب اندساس كثير من الجواسيس المسلمين في صفوف الجيش الصليبي، وهم متنكرون في أزياء شتّى ولغات عدة؛ "فتارة يزعم بعضهم أنهم إغريق، ويزعم سواهم أنهم سُريان، ويدّعي غيرهم أنهم أرمن، ويصّطنع جميعهم في يسر وسهولة ما لهذه الأمم من خصائص في لهجتها وعاداتها وزّيها، ولذلك كان يَصّعُب التعرف عليهم"[٣٣]، ويُفصح وليم عن مكمن الخطر في ذلك، وهو نجاح هؤلاء المتنكرين في الوقوف على التفاصيل الدقيقة للمعسكر

الصليبي، وتزويد قادتهم المسلمين بتقارير خطيرة تكشف عن نقاط ضعف وقوة الجيش الصليبي(٣٤).

وإزاء هذا الخطر الذي شبّهه وليم الصوري بالطاعون، عقد كبار القادة الصليبيين اجتماعًا طارئًا، تباحثوا فيه حول الإجراءات التي تكفل كشف الجواسيس المتنكرين، بل وقطع الطريق على أية محاولة للتنكر بما يضمن سلامة وأمن الجيش الصليبي. وقد اعترف المجتمعون بصعوبة كشف هؤلاء المتنكرين وإخراجهم من المعسكر الصليبي، لأنهم كانوا "قل ما يختلفوا –إلا نادرًا – عن أهل هذه الأمم: لغة، وعادات، وتقاليد"، وبعد مشاورات عديدة، لم يجد الأمير الصليبي بوهيموند الأول Bohemond I (٣٥) من سبيل سوى أنه أحضر مجموعة من الأسرى المسلمين وأمر الجلادين بقتلهم وشوي لحومهم في النار، وأُشيع أن القادة الصليبيين قرروا أن تُزود موائدهم بلحوم جميع الأعداء والجواسيس، بعد طهيها على هذه الصورة، وعلى إثر انتشار هذه الأنباء، دب الذعر في قلوب كثير من الجواسيس المتنكرين ففروا من المعسكر الصليبي(٣٦). وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدلّ على اجتهاد الصليبيين فى مكافحة ظاهرة الجسوسية؛ وذلك من أجل المحافظة على أسرار قوتهم وخططهم.

إذا كانت خطة بوهيموند الأول قد نجحت في التصدي للجواسيس المتنكرين عند أنطاكية، فإن تنكر الجواسيس لم يتوقف. ففي سنة ١٠٩٩م/٤٩٢هـ أرسل المصريون من عسقلان جاسوسين اثنين تخفيا ليلًا في الثوب الإفرنجي، وكان الغرض من تخفيهما دخول بيت المقدس المُحاصَرة، وقتئذ، من الصليبيين، لإيصال رسالة إلى أهلها أن لا يكفوا عن القتال وأن يواصلوا الصمود، حتى تَصِلهم القوات المصرية لفك الحصار الصليبي، ولكن يبدو أن عيون الصليبيين نجحت في كشف هوية الجاسوسين المُتَخفيين فقتلوا أحدهما، وألقوا القبض على الآخر، والذي اعترف تحت التعذيب أن الجيش المصري قادم لفك الحصار في غضون أسبوعين(٣٧). وهنا لابد من أن ندرك أن التخفي لم يكن مُحكمًا من قِبَلْ المصريين، الأمر الذي سهّل على الصليبيين كشفه.

وعلى الجانب الصليبي، اعتمد الصليبيون أيضًا أسلوب التنكر لتحقيق أغراض تجسسيه. فبعد هزيمة بلدوين الملك بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠-١١١٨م) [٣٨] في معركة الرملة الثانية[٣٩] وفراره هو نفسه متنكرًا إلى يافا سنة ١١٠٢م/٤٩٥هـ -كما سيأتي شرحه لاحقًا- قرر أن يبعث برسالة إلى بارونات القدس والخليل؛ يطمئنهم أنه ما زال حيًا، ويأمرهم بمهاجمة المسلمين المعسكرين قرب يافا، ولم يجد الملك أفضل من إرسال رسالته مع جاسوس من المسيحيين السُريان تنكر في ثياب رثة متواضعة، وعلى هذه الهيئة تسلل الجاسوس ليلًا، ونجح في اليوم التالي من دخول مملكة بيت المقدس، وتوصيل الرسالة[٤٠].

من المُحتمل أن يكون الجاسوس قد تخفي في زّي العامة من المسلمين؛ الأمر الذي سهّل عليه مهمة الخروج من بين صفوف المسلمين المُحاصِرين ليافا. كذلك فإن كونه من السريان وإجادته للغة العربية سهّل عليه بلا شك تنكره، وبالتالي نجاحه في المهمة التي أُوكِلَ بها.

تجدر الإشارة إلى أن نجاح الجاسوس المُتَنكِّر بوجه عام في تنفيذ مهمته كان يتوقف على اتقانه لكل تفاصيل ومظاهر التنكر. فيجب أن تكون الملابس متناسقة مع هيئة المتنكر، وإلا سيؤدي أي خلل في ذلك إلى الشك والارتياب فيه، ومن ثمّ فشل المُهمة، وهو ما حدث مع رسول جوهر مؤتمن الخلافة [٤١].

تروي المصادر الإسلامية أن الخصي جوهر مؤتمن الخلافة وجماعة من المصريين عزموا على التآمر ضد صلاح الدين الأيوبي أواخر سنة ١١٧٣م/٥٦٩هـ، وللتخلص منه قرروا مراسلة الملك عموري الأول Amaury I (١١٦٣-١١٧٤م) [٤٢] ملك بيت المقدس يستدعوه للمجيء بجيشه إلى مصر، وإمعانًا في إخفاء خبر المؤامرة أرسل جوهر كتابه مع رجل يثق به، وقد تنكر الرجل في ثياب رثّة حتى لا يأبه به أحد، وأخفى رسالة جوهر في نعلين جديدين، وعند خروج المُتَنكِر من أسوار القاهرة شكّ به رجل تُركُماني من عيون صلاح الدين، وكان سبب الارتياب والشك ارتداء المتنكر

لثياب بالية ونعلين جديدين، فأخذ التركماني النعلين وقال في نفسه "لو كانا مما يلبسه هذا الرجل لكانا خَلَقين فإنه رثّ الهيئة"، وألقى القبض عليه، وأرسل به إلى صلاح الدين، فلما تَسلّم صلاح الدين النعلين وقام بفتقهما وجد بداخلهما رسالة جوهر، فأمر بالقبض على كاتب الرسالة، وعلى جميع المتآمرين، وضربت أعناقهم(٤٣)، وبذلك فشلت المؤامرة.

تكشف حادثة التنكر السابقة عن قلة خبرة الجاسوس وعدم إجادته لفن التنكر، وظهر ذلك من خلال إخفاقه في توظيف ملبسه ليتلائم مع هيئته؛ الأمر الذي أوقعه في الارتياب والشك، وبذلك فشلت خطة المتآمرين.

على عكس حالة التنكر الفاشلة تلك، نجح فارس من طرابلس في التنكر ودخول مملكة بيت المقدس والتي كانت قد أوصدت أبوابها في وجه كونتيّ طرابلس وأنطاكية وبارونتهما. فحتى يقف كونت طرابلس وباروناته على ما يدور داخل أروقة مملكة بيت المقدس، أرسلوا سنة ١١٨٦م/٥٨٢هـ فارسًا متنكرًا في زي الرُهبان، لينقل إليهم ما يدور داخل المملكة، والتي كان بلاطها يستعد لتتويج ملك جديد خلفًا للراحل بلدوين الخامس Baldwin V، وقد نجح الفارس المتنكر في دخول مملكة بيت المقدس من الباب الخلفي لكنيسة مادلين اليعقوبية(٤٤) المجاورة لأسوار مملكة بيت المقدس، بعد أن تحايل على راعيها بالدخول، فلما أذن له انطلق إلى القبر المقدس، وهناك رأى البطريرك وكبار رجال المملكة يستعدون لتتويج سيبيلا وزوجها جي لوزنيان(٤٥) ملكين على بيت المقدس(٤٦). وبعد أن أتم الفارس المتنكر مهمته في التجسس كرّ عائدًا إلى طرابلس ليقص على أميرها وباروناته تفاصيل ما شاهده(٤٧).

من الواضح أن إجراءات الحيطة التي اتخذها الفارس المتنكر كانت أكثر إتقانًا. فاختياره التنكر في زّي الرُهّبان كان خيارًا صائبًا. إذ أن اجتياز الفارس لمملكة بيت المقدس عبر باب الكنيسة، ثم دخوله كنيسة القبر المقدس التي تمت فيها عملية التتويج، كان يستدعى تنكره في هذا الزي خصيصًا وليس بأي ذي آخر. كذلك لا ننسى

أن الفارس المتنكر ولكونه فارسًا صليبيًا عرف كيف يتعامل مع بني جنسه؛ ولذلك لم يرتاب فيه أحد، ونجح في مهمته خير نجاح.

ولنجاح حيل التجسس على المعسكر الإسلامي استعدى الأمر التنكر في الزي الإسلامي. فالمصادر الصليبية تحدثنا عن اعتماد الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard Heart of Lion (١١٨٩-١١٩٩م) [٤٨] على ثلاثة من الجواسيس كانوا يدخلون المعسكر الإسلامي ويخرجون وهم في الزيّ الإسلامي، وقد أجاد هؤلاء المتنكرون دورهم حتى "خُيّل لرائيهم أنهم مسلمون"؛ الأمر الذي سهّل عليهم نقل تحركات المسلمين للملك الصليبي، فنجح بفضل هؤلاء الجواسيس في اعتراض قافلة إسلامية خرجت من مصر في منتصف يونيو ١١٩٢م/جمادى الأولى ٥٨٧هـ واستولى عليها[٤٩].

يُلاحظ هنا أن معرفة الجواسيس باللغة العربية لم يمنعهم من التخفي والتنكر في الزي العربي الإسلامي. فاللغة -رغم أهميتها- استلزمت بجانبها تغيير الهيئة لإتمام عملية التنكر؛ فوجود الملابس ضروري حتى تحلّ محل اللغة إذا ما صمت الشخص المتنكر لسبب أو لآخر.

والواقع أن التنكر لغرض التجسس لم يتقنه الجنود والعساكر والفرسان فحسب، بل أتقنه وبرع فيه أيضًا بعض الملوك. ومن ذلك الدور الذي أجاده الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد نفسه والذي تنكر في ثوب عربي سنة ١١٩٢م/٥٨٨هـ، حينما عزم على حصار بيت المقدس؛ ليقف بنفسه على ما يدور داخل المعسكر الإسلامي، وللنجاح في مهمته سار متنكرًا في هيئة أعرابي مع مجموعة من العربان حتى وصل مكانًا يُسمى القُفّل يبعد عدة فراسخ عن القدس، فطاف حوله، ولما رأى أن أغلب الجنود المسلمين يغطّون في النوم، عاد وجمع عسكره، وباغتهم عند مطلع الصبح، فقتل منهم عددًا كبيرًا وأسر عددًا آخر[٥٠]. ومن خلال ما تقدم يتضح أن التجسس قد مُورِس من قِبَلْ الجانب الإسلامى والجانب الصليبي فى محاولة لكشف كل منهم الآخر.

ب-التنكر لدواعي تحرير الأسرى:

برزت أهمية التنكر أيضًا في استخدامه كحيلة لتحقيق أهداف سياسية كاطلاق سراح بعض الأسرى. وهي مغامرة خطيرة قد يفقد فيها المتنكر حياته إذا ما تم إكتشافه. وبالتالي ، كان من الضروري إتقان هذا الفن، لانجاز المهمة بأقل خسائر ممكنة. ولعل هذا ما دفع الصليبيون إلى إسناد مهمة تخليص بعض أسرى الصليبيين بسجون المسلمين إلى عناصر من الأرمن كانوا يسكنون الرها. ولعل اختيار هؤلاء الأرمن بالذات يرجع إلى الاعتبارات الآتية:

١- إجادة الأرمن للغة العربية.

٢- التقارب في الشبه بين الأرمن والمسلمين بحكم اقامتهم في منطقة جغرافية وبيئية واحدة، بعكس الصليبيين الذين تشي عيونهم الزرقاء وشعرهم الأصفر وبشرتهم البيضاء بأنهم غرباء.

٣- معرفة الأرمن بجغرافية البلدان الإسلامية لمعيشتهم بين ظهراني المسلمين.

٤- ميل أغلب العناصر الأرمينية إلى الجانب الصليبي سواء لدوافع دينية أو اقتصادية.

لكل هذه الأسباب كان اعتماد الصليبيين على الأرمن في عملية التنكر أمرًا منطقيًا وحيلة محكوم عليها بالنجاح. وتفصيل ذلك أنه بعد وقوع الملك بلدوين الثاني Baldwin II (١١١٨-١١٣١م) [٥١] وجوسلين الثاني حاكم الرها Joscelin II of Edessa [٥٢] في أسر المسلمين سنة ١١٢٣م/ ٥١٧هـ وايداعهما السجن[٥٣] بقلعة خَرْتَبِرْت [٥٤]، نجحا في التواصل مع مجموعة من أرمن الرها قدّرهم فوشيه الشارتري "بخمسين عميلًا"، عن طريق رُسل موثوق بهم[٥٥]، وتم الاتفاق على أن يقوم هؤلاء الأرمن بتخليص جوسلين والملك بلدوين الثاني ومن معهم من ربق الأسر مقابل مكافآت سخية وُعِدوا بها[٥٦].

يروي فوشيه كيف تَنَكَّر هؤلاء الأرمن في زِّي التُجّار، وتوجهوا إلى قلعة خرتبرت طالبين التحدث إلى قائد الحرس، فلما اقتربوا منه، تظاهروا بأنهم جاءوا لتقديم شكوى من بعض ضرر نزل بهم، وبمجرد أن اقترب منهم لسماع شكواهم، أشهروا خناجرهم، وذبحوا القائد وكل من حاول التعرض لهم، واستولوا على أسلحة الحُرّاس وتمنكوا من قتل مئة حارس، ونجحوا في السيطرة على القلعة(٥٧).

أما وليم الصوري فيروي مشهدًا آخر للتنكر فيذكر كيف تَنَكَّر هؤلاء الأرمن في مسوح الرهبان، حاملين خناجرهم تحت أثوابهم الدينية الفضفاضة، وانطلقوا نحو قلعة خرتبرت "حتى ليحسبهم الرائي أنهم في بعض أعمال ديرية"، ثم راحوا يصطنعون الكلمات والآهات والنظرات الحزينة، في مشهد تمثيلي يشي بأنهم تعرضوا للأذى من بعض الناس، وطلبوا من حُرّاس القلعة والدموع تملأ أعينهم مقابلة حاكم القلعة والمسئول عن حفظ الأمن فيها، فلما ظهر لهم انهالوا عليه بخناجرهم فأردوه قتيلاً هو ومن معه من حُرّاس القلعة، ووقعت القلعة بكاملها في أيديهم(٥٨).

أما متى الرهاوي(٥٩) فيروي رواية ثالثة مفادها أن عددًا من الأرمن بلغ خمسة عشر رجلًا، تنكروا في ثياب رثة "كأنهم خارجون من مشاجرة"، ودخلوا القلعة بعد أن تمكنوا من قتل حُرّاسها، ووصلوا لمكان السجن فقتلوا الحرس الذين واجهوهم، ووصلوا إلى البرج الذي يُحتَجز فيه ملك القدس وجوسلين، وقاموا بتحرير جوسلين من الأسر، والذي انطلق من فوره متنكرا في زي أحد الفلاحين الأرمن كان قد تعرف عليه في الطريق فوصل أنطاكية آمنًا، وبدأ في حشدد قوات لنجدة الملك بلدوين الثاني والأرمن المتنكرين (٦٠).

بينما يروي أورديك فيتالي (٦١) رواية رابعة تُفيد أن زوجة الملك بلدوين الثاني أرمينية الأصل هي من أرسلت مائة أرمني موثوق بهم، متنكرين في أردية الأتراك السلاجقة، ومعهم أسلحة تركية، لفك أسر زوجها ومن معه، وبفضل معرفتهم بلغة الأتراك وبطرائق الخدع التركية نجحوا في دخول قلعة خرتبرت وقتل حراسها والاستيلاء عليها.

تبدو رواية متى الرهاوي هي الأقرب للتصديق بحكم قربه من تلك الحادثة مقارنة ببقية المؤرخين أمثال فوشيه ووليم الصوري وفيتالي. فالأرجح أن زوجة الملك بلدوين الثاني الأرمينية هي من اتفقت مع بعض بني جنسها من الأرمن لتخليص زوجها ومن معه من أسر المسلمين، كما أن تنكر هؤلاء الأرمن في زي الأتراك قد يبدو مناسبًا لتنفيذ تلك المهمة، سيما وهم من عاشوا بين ظهراني الأتراك، وخبروا أساليبهم وعاداتهم كما أشارت الرواية. مع الأخذ في الاعتبار استخدام المتنكرين لأثواب تركية تتميز في عمومها بالاتساع، والأمر الذي مكّنهم من إخفاء أسلحتهم تحت هذه الثياب الفضفاضة.

ولو أخذنا برواية وليم الصوري فالأرجح أن المتنكرين تخفوا في أثواب تعرف بالتونية Khiton[٦٢]، وهي عبارة عن أردية طويلة تصل إلى القدمين اعتاد الرهبان على ارتدائها عصر الحروب الصليبية[٦٣]، وليس في المُسوح، والتي تُوصف بأنها ملابس خشنة قصيرة بلا أكمام لا تصل إلى الركبتين[٦٤]، وبالتالي يصعب معها اخفاء الأسلحة المستخدمة في تنفيذة مهمة خطرة كهذه.

على أية حال، فإن هذه الخطة الماكرة لم يشأ لها أن تُستكمل بنجاح. صحيح أن المتنكرين نجحوا في فك قيود جوسلين وتحريره من الأسر؛ لكن الملك ومن معه من الأرمن لقوا مصيرًا مغايرًا. فعندما علم بَلكْ بن بهرام الأُرتُقي[٦٥] حاكم القلعة بما حدث، جمع جنوده وتوجه إلى قلعة خرتبرت، ونجح في استعادتها في ١٦ سبتمبر ١١٢٣م/٢٣ رجب ٥١٣هـ، وقام بتقييد الملك بلدوين وابن أخته جاليران ونقلهم إلى مدينة حران القريبة من الرها[٦٦]. أما الأرمن الذين كانوا قد تنكروا، فقد أنزل بهم بلك ألوان العذاب، فسلخ جلود بعضهم، ودفن بعضهم وهم أحياء، وقطع أعضاء آخرين، وجعل من بعضهم الآخر هدفًا لسهام رجاله[٦٧].

ج- التنكر لأغراض عسكرية:

شاع التنكر لأغراض عسكرية وبكثرة بين المسلمين والصليبيين خلال الحروب بينهما حيث اعتمد عليه الطرفان كوسيلة لتحقيق نصر عسكري في بعض حروبهم ضد بعضهم البعض؛ ولعل كثرة الاعتماد عليه جاء نتيجة لتحقيقه لأهداف عسكرية عديدة وبأقل الامكانيات المتاحة. فمن أعمال التنكر التي مارسها المسلمون لهذا الغرض، ما أشار إليه ابن الأثير ضمن أحداث سنة ١١٠٤م/٤٩٧هـ من قيام سُقْمان بن أُرْتُق[٦٨] صاحب ماردين وحصن كيفا بجمع بعض من أسلحة الصليبيين وملابسهم وخيولهم ورياتهم –عقب هزيمتهم في السنة نفسها– ولبس هو ومجموعة من جنوده هذه الأزياء، وركبوا خيول الصليبيين، وتوجهوا حاملين الرايات الصليبية قاصدين بعض حصون الصليبيين (حصون شيحان)، وبفضل هذا التنكر والتمويه نجحوا في مهاجمة الصليبيين الذين كانوا قد خرجوا من حصونهم لاستقبالهم؛ ظنًا منهم أنهم إخوانهم من الصليبيين؛ فقتل سقمان منهم وأسر، ثم كرر ذلك في عدة حصون أخرى[٦٩].

وشبيه بذلك ما أشار إليه ابن المنقذ، من أن مجموعة من مسلميّ شيزر خلعوا ثيابهم، ولبسوا لباس الفرنج، واستعانوا بسيوفهم، وهاجموا مجموعة من الصليبيين ظنوا أنهم منهم، فقتلوهم وسلبوا ما معهم[٧٠].

كما تمدنا المصادر بمعلومات تفيد باستخدام حيل التنكر في إمداد وتموين المدن المُحاصرة. فبفضل التنكر في الزي الصليبي نجح صلاح الدين في أغسطس سنة ١١٩٠م/ رجب٥٨٦هـ في تهريب أربع مائة غرارة من القمح وقدر من الجبن والبصل والغنم وغير ذلك من بيروت إلى عكا عن طريق البحر[٧١]. وتفصيل ذلك أنه بسبب حصار الصليبيين لمدينة عكا، ساءت أحوال المسلمين المُحاصَرين بعد أن قلت الميرة، فبعث صلاح الدين إلى نائبه ببيروت عزالدين أسامة يطلب منه إمداد وتموين عكا بالزخيرة والأطعمة، فتخير سفينة صليبية معطلة بساحل بيروت كان قد سبق الاستيلاء عليها، فأمر السلطان "بترميمها وتتميمها" ثم ملأها من كل ما يريدونه من

الأطعمة والزخيرة، ورتب فيها رجال مسلمون ونصارى من أهل بيروت ،وأمرهم جميعا فتنكروا في زي الفرنج، وإمعانا في التنكر حلقوا لحاهم، "فخَيّل بهم رُهُبانا"، كما وضعوا الخنازير على سطح السفينة بحيث تُرى من بُعد، ورفعوا عليها الصلبان، "وساروا في البحر بمراكب الفرنج مختلطين، وإلى محادثتهم ومجاذبتهم منبسطين" فلما وصلوا إلى عكا لم يشك جنود الحراسة الصليبية فيهم، وزاد اطمئنانهم لهم بعد أن تحدثوا معهم وعلموا أنهم جاءوا لمساعدتهم في الحصار، وظنوهم منهم، فلم يتعرضوا لهم، وسمحوا لهم بدخول ميناء عكا، فدخل المسلمون، وسط فرحة عارمة من مسلمي عكا المُحَاصَرين وانتعشوا وقويت نفوسهم، وكان فرجًا عظيمًا، "فإن الحاجة كانت قد أخذت من أهل البلد" (٧٢).

المُلاحظ هنا أن الحيلة استدعت التنكر في زي العسكرية البحرية الصليبية، وإمعانًا في التنكر لجأ المسلمون إلى حلق لحاهم، مما دلّ على أن اللحية كانت إحدى سمات الشخصية الإسلامية في ذلك العصر. كذلك الثابت أن المتنكرين من المسلمين، كانوا يتقنون اللسان الإفرنجي، بدليل الحوار الذي دار بين المسلمين المتنكرين وبين القوات الصليبية المحاصرة لعكا. وزيادة في التنكر تم الاستعانة بنصارى من أهل بيروت شاركوا المسلمين في إعمال تلك الحيلة. كما يُلاحظ أن التنكر لم يقتصر على الجنود المشاركين في الحيلة، بل حتى السفينة نفسها تم تغيير هيئتها لتبدو وكأنها سفينة صليبية. فكان من الذكاء والفطنة اختيار صلاح الدين لسفينة صليبية خربة، كان المسلمون استولوا عليها ببيروت قبل ذلك، فأمر بترميمها وتصليحها واستخدامها في تلك المهمة. وفوق ذلك رُفعت الصُلبان عليها، ووضعت فيها الخنازير. وبفضل هذا التنكر مكتمل الأركان خالطت تلك السفينة سفن الإفرنج التي تصادف إبحارها إلى عكا، فلم يتم اكتشافها.

لم يتوقف التنكر عند تنكير هيئة السفينة ومقاتليها، بل شمل التنكر أيضًا اللسان. فتخير رجال من البحرية الإسلامية يجيدون اللسان اللاتيني ساعد أيضًا في

انجاح الحيلة. ويؤكد على ذلك قول العماد الأصفهاني[٧٣]: "وساروا بها (أي بالسفينة) في البحر بمراكب الفرنج مُختلطين، وإلى محادثتهم ومجاذبتهم مُنبسطين". وبذلك اكتملت أركان التنكر من الزِّي، والهيئة، واللسان، والسفينة؛ ولهذا نجحت الحيلة، ودخل المسلمون عكا حاملين الأقوات والمؤونة.

والواقع أن أعمال التنكر لتحقيق أغراض عسكرية لم يقتصر على الرجال فقط، فقد تنكرت النساء أيضًا في هيئة الرجال، ولبسن خلعة الحرب، وذلك وفق ما روته المصادر. فخلال الحملة الصليبية الأولى قدمت ضمن صفوف الحملة نساء متنكرات في زيّ الرجال[٧٤]. وفي أثناء القتال الدائر بين المسلمين والصليبيين المحاصِرين لعكا سنة ١١٩٠م/٥٨٥هـ، وقع في يد صلاح الدين مجموعة من الجنود الأسرى، كان في جملتهم ثلاثة نسوة فرنجيات كن يقاتلن على الخيل وهن متنكرن في هيئة الرجال، "فلما أُسرن وكُشِف عنهن عُرفن أنهن نساء"[٧٥]. كذلك تحدث أبو شامة أنه رأي بعد معركة مع الصليبيين سنة ٥٨٦هـ أشلاء وأجساد صرعى، ومنهم امرأة مقتولة كانت تقاتل في صفوف الصليبيين بزي الرجال[٧٦].

الجدير بالذكر أن النساء الصليبيات كن يجئن من الغرب الأوروبي وفق ما ذكرته المصادر المعاصرة كمتطوعات للمشاركة في الحرب ضد المسلمين بالشرق جنبًا إلى جنب الرجال[٧٧]. ومن ذلك ما تحدثت عنه المصادر من وصول مركب سنة١١٩٠م/٥٨٥هـ قادمة من الغرب الأوروبي على متنها ثلاثمائة امرأة صليبية[٧٨]، كما أمدتنا المصادر بمعلومات عن وصول امرأة صليبية ذات نفوذ، وبصحبتها خمسمائة فارس بخيولهم وأتباعهم، وكان ضمن تلك الحملة أيضًا مجموعة نساء صليبيات وصفهن العماد الأصفهاني بأنهن " فوارس، لهن دروع، كن في زي الرجال، ويبرزن في حومة القتال"[٧٩].

وعلى الرغم من أن المصادر الإسلامية لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى المصادر التي استقوا منها مثل هذه المعلومات شديدة الحساسية، إلا أن أحد الباحثين

رجّح أن مصدرها ربما يعود إلى بعض عيون المسلمين الذين كانوا يجوبون بعض المعسكرات الصليبية وهم متنكرون في زي التجار أو الباعة الجائلين أو العمال الذين يعملون في خدمة الصليبيين(٨٠).

لم يقتصر مشاركة المرأة في الحروب الصليبية على صاحبات المال والنفوذ فحسب، بل لجأت الراهبات أيضًا للسفر إلى الشرق اللاتيني متنكرات في زي الرجال، للتحايل على القانون الكنسي الذي كان يمنع خروجهن خارج الدير، ويرفض اشتراكهن في الحرب بجانب الرجال، ومن ذلك وصول إحدى راهبات الغرب الأوروبي تدعى القديسة هيلديجوند St Hildegund(٨١) إلى بيت المقدس متنكرة في زي الرجال للمشاركة في الحرب الصليبية بالشرق، وقد انضمت هذه الراهبة لفرسان المعبد(٨٢)، وعاشت تقاتل معهم تحت اسم مستعار وهو يوسف ولا أحد يعلم هويتها حتى وفاتها بمدينة بيت المقدس سنة ١١٨٨م، فكُشف عندئذ عن سرها (٨٣).

د- التنكر لغرض النجاة بالنفس:

كثيرا ما أُستُخدِمَ التنكر كوسيلة من وسائل النجاة بالنفس، وحمايتها من القتل والأسر. وهي وسيلة طبيعية وشرعية يلجأ إليها الإنسان عند الإحساس بالخطر. فعندما يواجه الإنسان الموت تُصبح جميع الخيارات أمامه مفتوحة لمحاولة النجاة بالنفس. فتْحْت الظروف الصعبة والمعانة الجسيمة التي لقيها الصليبيون أمام أنطاكية سنة ١١٩٨هـ/٤٩١هـ تسلل العديد من الصليبيين، وعادوا إلى بلدانهم بالغرب الأوروبي، وكان من بين هؤلاء ستيفن كونت بلوا Stephen Count Blois(٨٤) وآخرين، تخفوا ليلًا، وغادروا المعسكر الصليبي فارين إلى الغرب الأوروبي رغم قسمهم لبوهيموند الأول بعدم ترك المعسكر الصليبي(٨٥).

ومن طرائف ما انفرد به متى الرهاوي في هذا الشأن ما ذكره عن تنكر الأمير الصليبي بوهيموند الأول ومجموعة من فرسانه في زي النساء العربيات؛ أملًا في النجاة

من القتل أو تجنب الوقوع في أسر قوات الدانشمنديين الذين سعوا للايقاع ببوهيموند أثناء رحلته إلى ملطية[٨٦] سنة ١١٠١م لإنقاذ حاكمها جبرائيل من خطر الأتراك[٨٧].

كان الدانشمنديون قد أعدوا كمينًا على الطريق الواصل إلى ملطية، والذي كان لا محالة أن يمر خلاله بوهيموند الأول وجنوده، لكن عيون الصليبيين نقلت إلى بوهيموند خبر الكمين الإسلامي، فعهد بوهيموند ومن معه من كبار الفرسان بأسلحتهم إلى خدمهم، وتنكروا في زي النساء، فبدو حسب وصف الرهاوي "كالنساء اللواتي يرافقن قافلة مهيبة"، أو كأسرى عُزّل جُرّدوا من أسلحتهم"[٨٨].

ورغم تنكر بوهيموند ومن معه في هيئة النساء العربيات في محاولة لتضليل وخداع المسلمين فإن قوات الدانشمند انقضت عليهم دفعة واحدة، والتحم الطرفان في معركة، قُتِلَ فيها عدد كبير من الصليبيين والأرمن، ووقع بوهيموند الأول نفسه في الأسر ومعه آخرين[٨٩].

لقد تطلبت النجاة بالنفس تغيير الشكل على نحو جوهري. وكانت فكرة التنكر في هيئة النسوة العربيات للنجاة من الكمين الإسلامي فكرة جيدة؛ لأن الفرسان المسلمين، ومنهم الأتراك الدانشمنديين بطبيعة الحال كانوا يرون أنه من العار عليهم أن يتعرضوا للنساء.

ومع ذلك، يبدو أن تنكر بوهيموند وبعض فرسانه لم يكن مقنعًا. فلا ريب أن تنكر الرجال في هيئة النساء يحتاج لحِيل فنية دقيقة قد يتعذر تطبيقها على فئة معينة من الرجال، فلن تُجدي مثلا مع رجل فارع الطول، فامرأة قامتها تقترب من المترين ستكون لافتة للنظر بلا شك. كما تكاد تستحيل حالة التنكر تلك على رجل صوته جَهّوري خشن. فضلًا عن صفات خاصة أخرى كضخامة العضلات والأطراف، وكبر حجم الأنف، وغزارة شعر الصدر وغيرها من صفات الذكورة التي لابد أنها توافرت كلها

أو بعضها في الأمير الصليبي ومن معه من الفرسان، الأمر الذي جعل المسلمون يرتابون في المتنكرين، وبذلك فشلت محاولة التنكر.

كذلك لا نُنكر هنا دور العيون والجواسيس الأتراك في كشف خطة التنكر. فوليم الصوري[٩٠] يخبرنا أن والي الأتراك الدانشمند وصلته عن طريق عيونه أخبار تُفيد بقرب وصول الجيش الصليبي، فترصّد الأتراك للصليبيين في بعض الطريق، وانقضوا عليهم فجأة من حيث لا يدرون.

على أية حال، فإذا كانت محاولة بوهيموند الأول للتنكر قد فشلت، وكان ما كان من أمره، فإن محاولة الملك بلدوين الأول للتنكر من أجل النجاة بالنفس من القتل أو الأسر قد كُتِبَ لها النجاح. وتوضيح ذلك، أن الملك المذكور كان قد تعرض لهزيمة قاسية على يد الجيش المصري الفاطمي في معركة الرملة الثانية والتي درات رحاها في ١١٠٢م/ رجب ٤٩٥هـ، وفي تلك المعركة قُتل أغلب جنوده، وأُسِر البعض الآخر؛ فاضطر إلى التخفي ومعه بعض خواصه وحرسه في أجُمة قصب، فأشعل المسلمون النار في تلك الأجمة، ولحقت النار بعض جسده، وأُسِر بعض من كانوا بصحبته، أما هو فقد اختبأ في الجبال ليلتين، وبعد معاناة من الجوع والعطش خرج متنكرًا في اليوم الثالث على حين غفلة من المسلمين قاصدًا مدينة يافا ومعه فارس واحد فقط وخادم له، وأخذ يتجول "كما لو كان شخصًا عاديًا"، حتى وصل يافا سالمًا [٩١].

رغم عدم اسهاب المصادر المعاصرة في أية تفاصيل تتعلق بمظاهر تنكر الملك بلدوين الأول، فالأرجح أنه تنكر في زي عربي اعتمادًا على إشارة مصدرية وردت عند متى الرهاوي ووليم الصوري مفادها أن الملك بلدوين الأول نجا بحياته بفضل دليل عربي أخرجه سرًا من الرملة إلى أرسوف ومنها إلى يافا [٩٢]. كما يدعم ذلك ما ذكره فوشيه الشارتري من أن الملك سار في طريقه إلى يافا "كما لو كان شخصًا عاديًا"[٩٣]. وبذلك كُتبت له النجاة بفضل تنكره. ولا شك أن نجاته وحده دون بقية أصحابه دلّ على ذكائه وفطنته ودهائه وحسن تصرفه.

ولعدم الوقوع في قبضة روجر دوق أبوليا Roger duke Apulia[٩٤] استعان رايموند كونت بواتييه Raymond of Poitiers[٩٥] بأسلوب التنكر في هيئة الخدم والعامة، أثناء رحلته من إنجلترا إلى أنطاكية، والتي كان أهلها قد أرسلوا إليه سرًا يعرضون عليه تزويجه من الأميرة الصغيرة كونستانس Constance[٩٦] وريثة عرش أنطاكية، حتى يقطعوا الطريق على الأميرة الأم أليس، والتي لم يكن والدها الملك ولا أهل أنطاكية يرغبون في توليها حكم الإمارة، فضلًا عن القانون الذي لم يكن يسمح بذلك[٩٧].

يروي وليم الصوري ملابسات هذا التنكر، فيذكر أن روجر دوق أبوليا والذي كان يسعى للزواج من وريثة أنطاكية- حينما علم بتوجه ريموند كونت بواتييه إلى الشرق، كَمِنَ له في الطريق، كما نجح في رشوة الكثيرين ليحول دون وصول ريموند لأنطاكية، غير أن ريموند استطاع بما طبع عليه من الحذق والمهارة أن يتخفي هو ورفاقه بين مجموعة من العامة كانوا في طريقهم لحج بيت المقدس، فتخلي هو ورفاقه عن كل مظاهر الأبهة، وسار كأنه أحد العامة، "فكان يسير تارة على قدميه، وتارة يمتطي دابة حقيرة من دواب الحمل، وتارة يخدم الناس فيظنه من لا يعرفه خادمًا"، وتمكن بفضل مظهره هذا أن يخدع الجميع، وأن يتجنب الوقوع في الكمائن التي نصبها له خصمه، ووصل أنطاكية سالمًا، وتم تزويجه من الأميرة كونستانس في أبريل سنة ١١٣٦م/ رجب ٥٣٠هـ، وتسلم أمر إمارة أنطاكية [٩٨].

ومثلما كان التنكر والاستخفاء ناجعًا مع كونت بواتييه، كان ناجعًا أيضًا مع الوزير الفاطمي المخلوع شاور السّعدي[٩٩]، والذي خرج من مصر متخفيا ومتنكرا قاصدًا دمشق؛ للاستنجاد بحاكمها نور الدين محمود، ضد الوزير المُنقلب عليه ضرغام. وذلك سنة ١١٦٤م/٥٦٢م[١٠٠].

كذلك فقد حقق تنكر الماركيز كونراد من مونتيفيرات[١٠١] الغرض منه، ونجح في دخول مدينة صور سالمًا سنة ١١٨٨م/٥٨٤هـ، بعد أن تنكر في زّي التُجّار، أثناء

مروره بسفينته بمدينة عكا قادمًا من إيطاليا، وإمعانا في التنكر رفع على سفينته أعلام المسلمين، لتضليل المسلمين الذين كانوا عقب حطين قد سيطروا على أغلب الساحل الشامي باستثناء صور وإمارتي طرابلس وأنطاكية. فحين رأى مسلمو عكا أعلام صلاح الدين تخفق فوق السفينة، توجهوا نحوها، فبرز لهم الماركيز كونراد، وتحدث معهم بنفسه مؤكدا لهم أنه تاجر من رعايا السلطان صلاح الدين المخلصين، وأقسم لهم أنه عازم على دخول عكا فجر اليوم التالي بكل بضاعته، وحين أرخى الليل سدوله إنسّل الماركيز بسفينته، وأبحر تحت جنح الظلام قاصدا مدينة صور ليتسلمها ويتولى الدفاع عنها(١٠٢).

لم يكن التنكر هنا في زي التجار وحسب، بل حتى السفينة نفسها تم تغيير معالمها لتبدو وكأنها سفينة إسلامية؛ وذلك بتزيينها برايات المسلمين. والراجح أيضًا أن التنكر شمل اللسان أيضًا، فالمصادر التي نقلت لنا تلك الحادثة أشارت إلى أن الماركيز تكلم بنفسه مع جنود البحرية الإسلامية(١٠٣)، الأمر الذي كشف عن استخدام اللغة أيضًا كشكل من أشكال التنكر.

كما كان للتنكر دورًا بارزًا في حماية أحد المحاربين الصليبيين ويدعى فيراند Ferrand من القتل، وذلك سنة ١١٨٩م/٥٨٥هـ. فقد حمل الخوف من الموت المقاتل الصليبي للتنكر والتخفي بين القتلى، حتى ظنه المسلمون قتيلا فسلبوه ثيابه وسلاحه وخلفوه عاريًا، فلما دخل الليل عاد إلى معسكر الصليبيين متسللًا وهو يخوض في دمائه، حتى صعب معه على أصحابه أن يعرفوه، ولم يستطع إقناعهم بهويته إلا بعد جهد فضموه إليهم(١٠٤).

كذلك كان التنكر وسيلة أيضًا لحفظ حياة الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد. تتحدث المصادر أن الملك الإنجليزي كان قد خرج في خيّالته مُتنكرًا، لحراسة حشّاشة وحطّابة الصليبيين، وذلك في الثامن من ذي القعدة سنة ١١٩١م/٥٨٧هـ، فخرج عليه

كمين إسلامي، وجرى قتال بين الطرفين، فقتل عدد من رفاقه، وكاد هو نفسه أن يقتل لولا أن افتداه أحد خواصه بأن تنكر في "ثوب ملوكي حسن" فظن أفراد الكمين الإسلامي أنه هو الملك فأسروه، في حين لاذ ريتشارد قلب الأسد بالفرار بنفسه متخفيًا[١٠٥]. والأرجح أن الملك وخادمه تبادلا الملابس، فتنكر ريتشارد في هيئة الخادم، وتنكر الخادم في زي الملك وبذلك تمت الحيلة بنجاح ونجا الملك الصليبي من الأسر والقتل.

إذا كان تنكر الملك ريتشارد الأول المذكور آنفًا قد نجاه من الوقوع في أسر المسلمين، فإن تنكره في هيئة فرسان الداوية سنة ١١٩٢م/٥٨٨هـ أثناء رحلة عودته من عكا إلى بلاده، لم يمنعه من الوقوع في يد غريمه ليوبولد الخامس دوق النمسا Leopold V Duke of Austria (١١٥٧-١١٩٤م) [١٠٦]، والواقع أن المصادر تروي روايتين للتنكر، الأولى تذهب إلى أن الملك الإنجليزي تنكر في هيئة الفرسان الداوية، والثانية تقول بإنه تنكر في زيّ أحد الطُهاة، وأيما كان تنكره فإن فرسان دوق النمسا تعرّفوا عليه، وألقوا عليه القبض في فيينا[١٠٧].

يبدو أن الملك ريتشارد اتخذ قراره بالتنكر منذ خروجه من مدينة عكا؛ بسبب خلافات قديمة كانت بينه وبين دوق النمسا على طريقة إدارة الحملة الصليبية الثالثة[١٠٨]. والراجح أن ريتشارد أحاط سفره للغرب الأوروبي بالسرية التامة، كما أن اختياره للتخفي في زي فرسان الداوية بالذات ربما جاء على خلفية ما كان يتمتع به أفراد تلك الهيئة من تقدير وإجلال في الغرب الأوروبي؛ والراجح أنه غيّر تنكره من هيئة الفرسان إلى هيئة الطُهاة بعد أن شعر بإكتشاف هويته، ورغم محاولته للتنكر، فقد تم القبض عليه؛ فشخصية معروفة كشخصية الملك الإنجليزي والتي جاب صيتها أوروبا كلها ما كان أن تغيب عن عيون وجواسيس غريمه، لذلك فشلت محاولة التنكر، وسقط الملك الإنجليزي في يد خِصمه.

هـ- التنكر لتنفيذ أغراض إجرامية:

تكمن خطورة التنكر في استخدامه كوسيلة لارتكاب الجرائم وفي مقدمتها بطبيعة الحال جرائم الاغتيال. فهو وبلا شك وسيلة ناجعة في تنفيذ المُهمة بنجاح، ومعه تزداد فرص الافلات من العقوبة والاختفاء عن أعين العدالة. فكلما أُتقِن التنكر صَعُبَ القبض على المتنكر مرتكب الجريمة وبالتالي الاستمرار في أنشطته الاجرامية طالما لم يتم كشفه [١٠٩].

الجدير بالذكر أن هذا الفن أجادته وبامتياز فرقة الحشاشين الباطنية[١١٠]، فقد طوّرت تلك الفرقة من طُرق الاغتيال من خلال اعتمادهم على التنكر كوسيلة لأداء مهامهم فكانوا وبحق الارهابيين الأُول الذين جعلوا للقتل فن وطقوس[١١١]. ومثلما كانوا يختارون ضحاياهم بعناية، كانوا أيضًا يبتكرون أساليب للتنكر تتناسب وطبيعة الشخص المُراد اغتياله من حيث منصبه، ومكان وزمن اغتياله.

وتعود إجادة الفداوية الباطنية لفن التنكر والتخفي إلى طبيعة الدعوة الإسماعليلية نفسها القائمة على السرية والكتمان والتي تم تأصيلها شرعًا فيما يُعرف بـ "التقية"، حيث فتحت التقية الباب واسعًا أمام الفداوية للتستر والمداهنة، فاستطاعوا الانخراط بين جميع فئات المجتمع على اختلاف أصولهم وعقائدهم ومذاهبهم مما مكّنهم من التمويه على أنشطتهم وتنفيذ عملياتهم الاغتيالية بيسر وسهولة، إذ يتعذر تمييز الشخص الباطني عن غيره، فهو شيعي مع الشيعة، وسنى مع أهل السنة، ومسيحي مع المسيحيين، ويتظاهر غالبًا خلاف ما يبطن[١١٢].

لقد كان ضحايا الباطنية حسب برنارد لويس ينتمون إلى مجموعتين رئيسيتين: الأولى تضم الأمراء والقواد والوزراء، والثانية تضم القضاة والخطباء وغيرهم من الشخصيات الدينية السنية، وهناك مجموعة ثالثة متوسطة تضم ولاة وحكام المدن. أما ضحاياهم من الصليبيين فكانت قليلة جدا[١١٣].

من المتصور أن الباطني أو الفدائي الذي كان يتم اختياره لتصفية أيّ من المجموعات الثلاثة السابقة كان يتلقى تدريبًا مناسبًا يتماشى مع طبيعة الشخص المُستَهدف بالاغتيال. ويتضح ذلك جليًا عند دراسة أساليب تلك الفرقة في الاغتيال والقتل. فعندما قرروا التخلص مثلًا من جناح الدولة حسين بن مُلاعب[١١٤] أتابك حمص، وضعوا له طريقة التنكر المناسبة للتخلص منه.

تروي المصادر المعاصرة أن جناح الدولة نزل من قلعته إلى جامع حمص لآداء صلاة الجمعة في الأول من مايو سنة ١١٠١م/الثاني والعشرين من رجب سنة ٤٩٥هـ وحوله حَرّسُه وخواصه وهم في "أتمّ التسّليح"، فلما وقف للصلاة وثب عليه ثلاثة من عناصر الباطنية متنكرين في زي الزُهّاد والمُتَصّوفة، فقتلوه بسكاكينهم، كما قتلوا جماعة من خواصه وحُرّاسه، فكان أول ضحية للفداوية في بلاد الشام[١١٥].

والواقع أن اختيار الباطنية للتنكر في زي المُتَصوفة والزُهّاد لتنفيذ مهمة خطرة كهذه لم يكن عشوائيًا، بل كشف أن المُخطط لتلك المهمة، كان يعمل وفق خطة ممنهجة ومدروسة. فمن المؤكد أنه درس الأمر بشكل جيد، واهتدى في النهاية إلى ضرورة تنفيذ المهمة في هذه الهيئة بالذات. فالصوفيون باعتبارهم فئة تنأى عن الحياة وشواغلها عامة، والسياسية وتوابعها بصفة خاصة[١١٦]، جعل منهم فئة مُقربة من السُلطة ورجالاتها، فلا عجب أن نراهم يختلطون بالقادة والسّاسة دون أن يحسّ منهم الأخيرون أي تخوّف على حياتهم. كذلك فإن تواجدهم بكثرة في المساجد كان أمرًا طبيعيًا ولا ريبة فيه بحكم مُجاورتهم له؛ الأمر الذي سهّل عليهم اختراق الحاجز الأمني البشري، والإقتراب من حاكم حمص وتنفيذ مهمتم بنجاح.

كذلك يُلاحظ أن عملية الاغتيال تمت داخل صحن المسجد، وهذا أمر بديهي. ففي داخل المسجد، وأثناء اقامة الصلاة تقل الحراسة حول المُستهدف بطبيعة الحال، مُقارنة بخارج المسجد، أو في الشوارع والطرقات حيث تزداد الحراسة.

ومما هو جدير بالملاحظة أن عملية الاغتيال تمت من خلال التنكر في زّي الصوفية والزُهّاد، والتي كانت عاملًا مهمًا في انجاح تلك المُهمة الخطرة. والمعروف أن المُتَصّوفة والزُهّاد كانت ملابسهم وقتذاك عبارة عن عباءات فضفاضة خشنة من الصوف(١١٧)، وهي ملابس ملائمة يمكن إخفاء الخناجر تحتها بكل سهولة.

تجدر الإشارة إلى أن القرن السادس الهجري شهد نضوج حركة التصوف في أرجاء بلدان العالم الإسلامي آنذاك، بفضل تبني الخلفاء العباسيين للتصوف والمتصوفة؛ نظرا لسعة انتشاره بين الناس، وتأثيره في حياتهم، وربما أيضا لقدرته على التخفيف من غلو الخلافات المذهبية والتي اشتعل آوارها بين السنة والشيعة إبان ذلك القرن وما تلاه(١١٨). ولعل هذا ما يُفسِّر كثرة الصوفيين والزهاد في بغداد، ودمشق، وحمص، وحلب، والقاهرة، وغيرها من حواضر العالم الإسلامي آنذاك. ويُفسّر أيضًا لماذا فضّل الباطنية التنكر لحاكم حمص في هذه الهيئة بالذات.

بدهي، استنادًا إلى ما ذُكر أن تنجح عملية الاغتيال بعد أن اكتملت أركان التنكر وعناصره. أما عن مصير المتنكرين، فلم تُسعفنا المصادر المعاصرة بأي إشارات عنهم، باستثناء مصدر وحيد ذكر أنهم قُتلوا جميعًا عقب نجاح المهمة بعد أن تكاثرت عليهم السيوف(١١٩).

هذا وقد تركت تلك الحادثة أثرها على المتصوفة في حمص. فيروي ابن القلانسي أنه بعد اغتيال الأمير جناح الدولة وعدد من خواصه، قام جنوده وحرسه بإلقاء القبض على عشرة من مُتصوفة العجم وغيرهم كانوا بالمسجد أثناء وقوع الحادثة فتم تصفيتهم ظلمًا؛ ظنًا أنهم باطنية متنكرين(١٢٠).

على أية حال؛ فيبدو أن نجاح المتنكرين الباطنية في اغتيال جناح الدولة، قد دفع بأمراء حركة الجهاد الإسلامي إلى تعزيز الاجراءات الأمنية، وتشديد الحراسة حوّلهم، لقطع الطريق على أي متنكر يُقدِم على ارتكاب جريمته. فلحماية نفسه من

خناجر الباطنية، أحاط الأمير شرف الدين مودود[١٢١] حاكم الموصل نفسه بمجموعة من الحُرّاس المدججين بالسلاح، وصار -حسب وصف ابن القلانسي- لا يخرج إلا وحوله "عناصر حراسة من الدّيلم، والأتراك، والخُرسّانية، والأحداث، والسِلّاحية بأنواع السلاح، ويتقدم كل هؤلاء أتابك"[١٢٢].

كذلك يبدو أن مقتل حاكم حمص جناح الدولة على يد المتنكرين من الباطنية في زِّي الصوفية والزهاد، جعل جنود الحراسة يرتابون في كل مُرتدي لهذا الزِّي؛ الأمر الذي دفع بالباطنية إلى تغيير استراتيجيتهم في التنكر. فبدلًا من تكرار التنكر في زي الصوفية، تنكر أحدهم هذه المرة في زي أحد الشّحاذين من العوام، ونجح الباطني المتنكر في الاقتراب من الأمير مودود وغرس خنجره في صدره، بعد أداءه صلاة الجمعة الأخيرة من شهر ربيع الآخر سنة ٥٠٧هـ/ أكتوبر سنة ١١١٣م بمسجد دمشق، وقد وصفت المصادر عملية الاغتيال بكل دقة فذكرت أن مودود بعد أن فرغ من صلاته، خرج لصحن المسجد وبصحبته مُضيفه طُغتكين حاكم دمشق، فاقترب من الأمير مودود والمعروف بتقواه وصلاحه، "رجلًا من الناس لا يُأبه له ولا يُحفل به"، يطلب صدقة، فلما دنا منه ضربه بخنجر أسفل سُرته ضربتين نفذت إحداهما إلى خاصرته والأخرى إلى فخذه، وحُمِلَ على إثرها جريحًا إلى دار ضُغتكين ليموت بعدها بساعات [١٢٣].

أما عن مصير الباطني المُتنكر فتُجمع المصادر الإسلامية أن السيوف أخذته من كل جانب، ورغم كل المحاولات التي جرت لاكتشاف هويته إلا أنه لم يُعرف شخصه، فتم قطع رأسه وألقى بجسده في النار[١٢٤]. بينما يذكر ألبرت الأيكسي رواية أخرى تفيد بأن الباطنية الأربعة المتنكرين، تمكنوا من الفرار بعد تنفيذ مهمتهم، وسط وعد من طُغتكين بملاحقتهم والقبض عليهم. وهي رواية غير صحيحة لكونها تخالف ما أجمعت عليه المصادر الإسلامية.

أيًا كان الأمر؛ فإن اختيار الباطنية هذه المرة للتنكر في زي الشحاذين كان حيلة ذكية بلا ريب. فرجل كمودود عُرف بالتقوى والورع حسب وصف ابن القلانسي، عُرضّة لأن يتودد إليه الشحاذين والفقراء من العامة، وبالتالي فإن الاقتراب منه في صورة شحاذ يطلب صدقة أمرًا طبيعيًا. كذلك فإن اختيار الملبس هذه المرة مناسب تمامًا لانجاح المُهمة. فملابس العوام بشكل عام، والتي كانت عبارة عن قمصان تتميز باتساعها، وطول أكمامها، وكبر فتحة العنق والصدر، كانت تناسب مع طبيعة تلك المهمة(١٢٥).

على أية حال، واصل الباطنية تنكرهم من أجل ارتكاب مزيد من حالات القتل والاغتيال. فبرغم الاحترازات الأمنية المشددة التي اتخذها الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الدين الجمالي(١٢٦) فإنه لقي حتفه على يد ثلاث رجال متنكرين في زي العامة، كانوا قد قدموا من حلب، وترصدوه حتى انفردوا به وضربوه بسكاكينهم فأردوه قتيلا في الثالث والعشرين سنة ١١٢١م/ ٥١٥هـ، وذلك أثناء مروره بأحد أسواق الصياقلة(١٢٧). ورغم أن ابن القلانسي لم يكشف عن هوية هؤلاء النفر الثلاثة، فإن ابن الأثير أومأ إلى أنهم كانوا من الباطنية، وذلك بقوله: "وكان الإسماعيلية يكرهونه لأسباب منها: تضييقه على إمامهم، وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم، ومنها ترك معارضة أهل السنة في اعتقادهم(١٢٨).

مرة أخرى، عاد الباطنية للتنكر في زي الصوفية، وهذه المرة للتخلص من سيف الدين آق سُنقُر البُرْسُقي(١٢٩). تروي المصادر أن البرسقي دخل الجامع العتيق بالموصل ليؤدي صلاة الجمعة وذلك في ٩ ذي القعدة ٥٢٠هـ/ ٢٦ نوفمبر ١١٢٦، ورغم أنه كان محتاطًا لنفسه يرتدي صدّرية من حديد، و"على غاية من التيقُظ لهم والتحفُظ منهم بالاستكسار من السلاح الشاك"، فإن الباطنية المتنكرين في هيئة الصوفية نجحوا من الوصول إليه وقتله(١٣٠).

والواقع أن اختيارهم للباس الصوفية قد سهّل مهمتم فكانوا حسب رواية ابن القلانسي يُصلّون في هذا الزي بجنب المشهد "ولم يُؤبه لهم ولا أُرتيب بهم"، فلما بدأ في الصلاة وثبوا عليه بسكاكينهم فضربوه عدة ضربات لم تؤثر في لبس الحديد الذي عليه، فلما رأوا السكاكين لا تعمل فيه شيئا، صاح أحدهم: " اطلبوا رأسه وأعلاه، فتكاثروا عليه وقتلوه، وقتلوا جميع من كان معه[١٣١].

أما عن عدد هؤلاء المتنكرين فقد اختلفت المصادر في تحديدهم. فإبن الأثير قدّرهم ببضعة عشر نفسًا[١٣٢]. بينما حددهم ابن العديم[١٣٣] بثمانية باطني. بينما روى ابن العبري أنهم كانوا زهاة عشرة من الإسماعيليه[١٣٤]. بينما لم يحددهم ابن القلانسي ولا متى الرهاوي بعدد معين.

إذا كانت المصادر قد اختلفت في تحديد عدد المتنكرين، فإنها اتفقت جميعًا على أنهم تنكروا في زي الصوفية والعُبّاد[١٣٥]، باستثناء تاريخ متى الرهاوي[١٣٦] الذي ذكر أن مقتل البرسقي كان على يد مجموعة من أمته كانوا يلبسون ملابس الحُجّاج.

في هذا الصدد لا يمكن قبول رواية الرهاوي، فالتنكر في زي الحجاج مُستبعد؛ وذلك لأن عملية القتل تمت في التاسع من ذي القعدة. كذلك فإن القتل تم في مدينة الموصل. والمؤكد أن الرهاوي خلط بين لباس الحُجّاج والصوفية.

أما مصير المتنكرين الباطنية فقد اختلفت المصادر حوله. فإبن القلانسي ذكر أن البرسقي تمكن من قتل واحدًا منهم في بداية الوثوب عليه[١٣٧]. بينما روى ابن العديم وابن الأثير وابن العبري [١٣٨] أن البرسقي قتل منهم ثلاثة، ونجا الرابع. في حين ذهب متى الرهاوي[١٣٩] بعيدا فذكر أن الباطنية قُتِلوا جميعًا على يد خَدم البرسقي وحرسه، كما قُتل كل من كان يرتدي نفس الثياب، وقد بلغ عددهم ثمانين.

وحسب الاشارات فإن الباطنية المتنكرين استخدموا السكاكين في عملية القتل[١٤٠]، وهي بحجمها الصغير سلاح ملائم يمكن تخبئته تحت أثوابهم الصوفية.

لقد استفحل خطر الباطنية في بلاد الشام، للحد الذي دفع بحاكم دمشق تاج الملوك بوري بن ضغتكين[١٤١] إلى تصفيتهم، والخلاص من شرورهم، فأقدم في خريف سنة ١١٢٩م/٥٢٣هـ على مهاجمة مقارهم بدمشق، فجرت في شوارع دمشق مذابح جماعية راح ضحيتها آلاف منهم. ولم تكن القيادات الباطنية لتسكت على مذابح إخوانهم في دمشق، وجاء الرد والتخطيط من قلعة آلموت، حيث أرسلوا إلى دمشق باطنيين فارسيين من أهل خراسان متنكرين في زي الأتراك للخلاص من تاج الملوك بوري[١٤٢].

لا شك أن اختيار فارسيين من أهل خراسان لتنفيذ المهمة لم يكن محض صدفة، بل وفق خطة مُحكمة تستهدف تأمين كل العوامل المساعدة لضمان نجاح خطة اغتيال بوري، فتنكر الباطنيين بزي الأتراك لم يكن إلا غطاء لدخول مدينة دمشق ذاتها حتى لا يُشك فيهما ويُرتاب في مهمتهما، كذلك فإن استقرارهما في دمشق، كان من أجل الالتحاق بخدمة بوري، والانخراط في سِلك حراسته الخاصة، والتي كان جُلّها من الخرسانية وإخوانهم من الديلم، لذلك فقد حاز المتنكران الخرسانيان على ثقة بني جلدتهما "وسكنت القلوب إليهما وتمكنا"[١٤٣]. ثم انتهزا فرصة دخول بوري الحمّام، وتفرق حرسه الخاص من الخرسانية والديلم عنه، فوثب الباطنيان عليه فضربه أحدهما بالسيف يريد رأسه فجرحه في رقبته جرحا لم يتمكن منه، وضربه الآخر بسكين عند خاصرته نفذت بين اللحم والجلد، وكان ذلك في يوم الخميس ٢٤ من جمادى الآخرة ٥٢٥هـ/٢٤ مايو ١١٣١م [١٤٤]. ورغم تعافيه بفضل أهل الخبرة بمداواة الجِراح من الأطباء والجراحين[١٤٥]. إلا أنه مات متاثرًا بجراحه تلك بعد سنة تقريبًا من محاولة اغتياله الفاشلة [١٤٦]. أما الباطنيان فقد تكاثرت عليهما الرجال بالسيوف فقطّعوهما إربًا[١٤٧].

هذا النوع من التنكر يمكن وصفه مجازًا بالتنكر الشامل طويل الأمد، فقد استدعى التنكر هذه المرة تغيير هوية الرجلين ليس في الملبس فقط، ولكن تغير جذري في الشخصية بأكملها، فالرجلان قدما من بلاد فارس إلى دمشق في هيئة الأتراك،

وإمتهنا وظيفة جديدة تتناسب وطبيعة المهمة الموكولين بها، وهي وظيفة الحِراسة، كما استدعى التنكر الانخراط في سلك الجند الخرسانية المكلفين بحراسة بوري. وقد تربص الفداويان المتنكران بضحيتهما مدة تخطت الستة أشهر، وهي الفترة الفاصلة بين المذبحة التي أوقعها بُوري في صفوف الباطنية وبين محاولة اغتياله (خريف ١١٢٩-صيف ١١٣١م). وقد أثمر هذا الإعداد الجيد عن نجاح المتنكرين في الوصول إلي هدفهم، بغض النظر عن مقتلهم.

وللتخلص من رجل عسكري كبير كصلاح الدين الأيوبي، كان لابد من الإعداد الجيد لهذه المهمة، خاصة بعد أن فشل الفداوية الباطنية في محاولتهم الأولى لاغتياله في ٨ يوليو ١١٧٥م/ ١٤ ذي الحجة ٥٧٠هـ[١٤٨]. لذلك أرسل سنان شيخ الجبل[١٤٩] ثلاثة رجال وفي روايات أخرى أربعة متنكرين في زي الجندية، ونجح هؤلاء الفداوية بفضل مهارتهم في الانخراط داخل جند صلاح الدين، بل وصلوا إلى خيمة صلاح الدين نفسه، وذلك في مايو ١١٧٦م/ذي القعدة ٥٧١هـ، أثناء حصاره لقلعة عزاز، فوثب عليه أحد المتنكرين وضربه بسكين في رأسه فجرحه، ولولا ما كان يرتديه من ملابس عسكرية لقُتِلَ، وبذلك فشلت محاولة المتنكر الأول، وتم قتله على يد أحد أمراء صلاح الدين وهو سيف الدين يازكش، ثم تقدم المتنكر الثاني والثالث والرابع بالتناوب كل منهم يحاول قتل صلاح الدين، لكن محاولتهم جميعا باءت بالفشل، وتم قتلهم على يد حرس صلاح الدين[١٥٠].

لا شك أن وصول هؤلاء الباطنية المتنكرين إلى خيمة صلاح الدين، ومحاولة قتله يكشف عن خلل في المنظومة الأمنية لصلاح الدين، وضعف الإجراءات الاحترازية لديه. وهو ما تنبه إليه صلاح الدين بعد نجاته بأعجوبة من محاولة الاغتيال تلك، ولمعالجة هذا الخلل لجأ إلى تشديد الإجراءات الأمنية، فاستدعى حرسه وجنده، فمن عرفه منهم، أقرّه في خدمته، ومن أنكره أبعده[١٥١]. وعلى الجانب المقابل يكشف أيضًا عن مهارة الباطنية في التنكر، ويُفسر لماذا اختار الباطنية التنكر لصلاح الدين

في زّي الجندية بالذات، فصلاح الدين والذي عُرِفَ عنه حبه للجهاد ما كان يمكن الوصول إليه إلا في هذا الزّي والذي مكّنهم –بلا شك– من اختراق الحواجز الأمنية والوصول إلى خيمة صلاح الدين نفسه.

أيًا كان الأمر، فقد عاد الباطنية مرة أخرى لسياسة ما يمكن تسميته التنكر طويل الأمد، وقد اُستُخدِم هذه المرة للتخلص من كونراد من مونتيفرات، والذي يعد أول الضحايا الصليبيين على يد تلك الطائفة. تنقل لنا المصادر المعاصرة مظاهر هذا التنكر، فتروي أن باطنيين دخلا صور، وتظاهرا بدخولهما المسيحية، وأقاما فترة بالكنيسة، ثم تقربا لكونراد في هيئة الرهبان فوثق بهما، وقربهما إليه "حتى أنه لم يكن يصبر عنهما"، فلما دانت الفرصة، وثبا عليه داخل الكنيسة فقتلاه في ٢٨ أبريل ١١٩٢م/ ١٣ ربيع الأخر ٥٨٨هـ(١٥٢).

إذا كانت المصادر الإسلامية قد أجمعت أن الباطنيين الفداويين قد نفذا عملية الاغتيال وهم في لباس الرُهبان، فإن المؤرخ جيفري من وينسوف Geoffrey de Vinsauf(١٥٣) روى أن الشابين نفذا الاغتيال وهم بدون أردية !، وهي رواية لا يمكن الأخذ بها على الإطلاق.

أيًا كان الأمر؛ فإن المُلاحظ هنا أن التنكر استغرق وقتًا طويًلا بشهادة كلا من العماد الأصفهاني وجيفري من وينسوف (١٥٤) وهو تنكر يُشبه إلى حد بعيد تنكر الباطنية لتاج الملوك بوري، والذي وصفناه بطويل الأمد. فقد استدعى التنكر هذه المرة أيضًا تغيير عقيدة وهوية الرجلين تغييرًا جذريًا، حيث اتخذا دينًا جديدًا، وإمتهنا وظيفة جديدة، ومسكنًا جديدًا، وربما اسمين جديدين. وقد نجح المتنكران خلال تلك الفترة في التكيف مع المجتمع الصليبي الذي عاشا فيه، فمارسا عادات المجتمع الصليبي وتقاليده، وأديا شعائره وعبادته، وتحدثا بلغته حتى أمن لهما الجميع. كما يُلحظ أنهما لم يكونا في عجلة من أمرهما، وإنما انتظرا الزمان والمكان المناسبين لتنفيذ مهمتها. وبفضل هذا الإعداد الجيد نجح المتنكران في تنفيذ المهمة خير نجاح.

في هذا الصدد تروي المصادر الصليبية المعاصر كيف كان يتم إعداد هؤلاء الباطنية. فيذكر أن شيخ الجبل كان يقوم باختيار مجموعة من الفتية، فيتم تربيتهم منذ الصغر تربية خاصة فيتم تعليمهم اللغات المختلفة، حتى يستطيعون التعامل مع كل قوم بلغتهم دون حاجة إلى مترجم بينهم وبين أهل تلك البلاد(١٥٥). وبالإضافة إلى تعليمهم اللغات، كان الفداوي على الأرجح يُدَرّب على ضروريات التعايش والتكيف مع المجتمع الذي يفد عليه لضمان تنفيذ مهمته بنجاح.

أما مصير المتنكرين فقد أجمعت المصادر على أنه تم قتل أحدهما، والقبض على الآخر، وباستجوابه اعترف بأن ريتشارد هو الذي طلب من شيخ الجبل التخلص من الماركيز، وبعد أن أدلى الباطني بأقواله تم قتله والتمثيل بجثته(١٥٦).

و- التنكر لدواعي إدارية:

استخدم التنكر لدواعي إدارية من قِبَل السلاطين والأمراء لمراقبة عُمّالهم وأتباعهم، والوقوف على حسن أدائهم، واختبار صدق ولائهم. ومن ذلك نزول الأتابك ظهير الدين طُغتكين(١٥٧) حاكم دمشق متنكرًا على عامله ببعلبك كمُشتكين التاجي سنة ١١٠٥م/٤٩٨هـ، بعدما بلغه عنه حسب رواية ابن القلانسي أمورًا أنكرها عليه، فنزل عليه، وقرّره وواجهه بالتُهم المنسوبة إليه، والتي منها شق عصا الطاعة، والاتفاق سرًا مع الفرنجة الصليبيين ضد سيده، فأنكر كمشتكين كل التُهم، وحلف على براءته منها، فصفح عنه ظهير الدين ورضي عنه(١٥٨).

والواقع أن ابن القلانسي صاحب الرواية السابقة لم يقدم أية إشارات عن مظاهر هذا التنكر، فكل ما ذكره أن كُمشتكين فوجيء بدخول سيده ضُغتكين عليه متنكرًا. والملاحظ هنا أن ظهير الدين ضُغتكين لم يقرر قتل عامله كمشتكين أو عزله، ويبدو أن ضُغتكين حقق هدفه من نزوله متنكرًا على عامله والي بعلبك، من خلال بث الرعب في قلب عامله، الأمر الذي جعل والي بعلبك يركن للهدوء(١٥٩).

التنكر

ثالثا: أشكال التنكر وآلياته

الواقع، أن التنكر عصر الحروب الصليبية اتخذ أشكالًا مختلفة، وأوضاعًا متباينة، وألوانًا متعددة، فتارة تم الاعتماد على الملابس كآلية من آليات التنكر، وتارة أخرى أُستخدم اللثام، وحلق اللحية كآلية من آليات تغيير الهيئة والشكل، تارة ثالثة اللغة، كما تم التنكر من خلال الادعاء بالتحول من عقيدة لأخرى، إلى غيرها من آليات وأشكال التنكر كما سيأتي شرحه.

١- الملابس

شكّلت الملابس واحدة من أهم آليات وأشكال التنكر في الفترة قيد الدراسة. ففي عصر الحروب الصليبية، وهو عصر لم يعرف أدوات التنكر المعاصرة كعمليات التجميل، ووضع المساحيق والإكسسوارات، أصبحت الملابس آلية مهمة من آليات فن التنكر حرص المتنكرون على تطويعها في حيلهم، وبذلك أُضيف للملابس وظيفة جديدة بجانب وظائفها الثلاثة الرئيسة (الحماية والزينة وستر العورة) [١٦٠]. وبتعبير توماس كارليل صار الملبس "بيت متحرك بل جسم ثان حول جسمك"، أو بتعبير آخر كان بمثابة لغة غير مكتوبة تُعبِّر عن الفرد في تفاعله مع المتغيرات الحياتية حوله[١٦١]. أو بالأحرى أداة وظيفية – إذا جاز التعبير – أمكن توظيفها لتلعب دورًا في اتمام عملية التنكر[١٦٢].

ولأهمية الملابس تلك، استخدمها الجانبان الإسلامي والصليبي وبكثرة في التنكر. فتنكروا في زّي الصوفية، والرُهّبان، والتُجّار، والعامّة، والجُند، والحُجاج، والبدو وغيرها من أزياء التنكر. وفي ذلك دلالتين إحداهما تؤكد أنه كان لكل فئة من الفئات المُتَنَكّر فيها ملابس تخّتص بهم وتُميزهم عن غيرهم. وثانيهما يؤكد على أن الملابس كانت العنصر الأكثر استخدامًا للتَنكُّر من خلاله.

فاغتيال جناح الدولة والبرسقي تم من خلال تنكر الباطنية في زّي الزُهّاد والصوفية. بينما نجا بلدوين الأول من محاولة أسره وقتله بالتَخفي في زّي عامة المسلمين. واستدعى الأمر تنكر الباطنية في زي الشحّاذين للتخلص من شرف الدولة مودود. كما تنكر الفداوية أيضًا في زي الجُند في محاولة لاغتيال صلاح الدين الأيوبي. ولكي ينجح كونراد من مونتيفرات في اجتياز سفن البحرية الإسلامية ودخول صور قادمًا من الغرب الأوروربي كان عليه التزّيي بزي التُجّار. وحين قرر الباطنية التخلص منه تنكروا له في زّي الرهبان. وحتى يُنقذ ريتشارد قلب الأسد نفسه من القتل استبدل ملابسه الملكية بملابس أحد خدّامه. كما اضطر بوهيموند الأول أن يتنكر في زي النساء ليُخفي حقيقته عن جنود الأتراك الدانشمند.

كذلك تَخّفي الفارس الصليبي القادم من طرابلس في زي الرهبان ليدخل مملكة بيت المقدس للتجسس على بلاطها الملكي. كما مكّنت ملابس النساء المُتَخَفى بداخلها أحد الفداوية من دخول قصر حاكم الريّ وقتله، إلى غيرها من الأمثلة التي كشفت عن أن الملابس كانت بمثابة آلية من آليات فن التنكر خلال ذلك العصر.

وفي ضوء تَفرّد فرقة الحشاشين الباطنية في تطويع الملابس لخدمة أغراضهم التنكرية، واجه المجتمع الإسلامي مشكلة كبرى تمثلت في إخفاق عناصره في كشف هوية هؤلاء الفداوية الذين وصلوا بفن التنكر والتقلب في الشخصيات حدًا قارب الكمال؛ الأمر الذي أحدث نوعًا من الخوف والقلق داخل المجتمع الإسلامي. ويظهر ذلك من خلال حديث المؤرخ ابن القلانسي ضمن أحداث سنة ١١٢٦م/٥٢٠هـ، حيث تحدث عن استفحال أمر أحد زعماء ودعاة الباطنية ويدعى بهرام فأورد عنه يقول: "فعظم خَطّبه في حلب ودمشق والشام كله، وهو على غاية الاستتار والاختفاء، وتغيير الزّي واللباس بحيث يطوف البلاد والمعاقل ولا يعرف أحد شخصه"(١٦٣).

يتجلى من وصف ابن القلانسي الهاجس الذي سيطر على العالم الإسلامي السني والمتمثل في الخوف من الوقوع في شرك الفداوية الباطنية الذين أجادوا وبامتياز التعامل مع الملابس والأزياء كآلية من آليات التنكر.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كثرة استخدام المسلمين للملابس في التنكر، وخاصة في الزيّ الفرنجي الصليبي كان فاتحة الخطر على المجتمع الصليبي. فقد تجاسر المسلمون على التزيّ بالزّي الصليبي مرارًا وتكرارًا، ومن خلاله دخلوا المعسكرات الصليبية وسببوا مشاكل عديدة هددت سلامة وأمن الكيان الصليبي. ولعل ذلك يُفسر استصدار القادة الصليبيين لقرار من مجلس نابلس المنعقد في الثالث والعشرين من يناير سنة ١١٢٠م/١٩ شوال ٥١٣هـ، يقضي بحظر المسلمين سواء رجالًا أم إناثًا من إرتداء الملابس الصليبية، أو التزي بها، وإلا تحوّل من يخالف ذلك إلى العبودية(١٦٤).

يرى أحد الباحثين أن هذا القرار صدر بسبب المقاومة التي أبداها المسلمون سكان المنطقة ضد الصليبيين، والذين دأبوا على التنكر في الزّي الفرنجي الصليبي، ومهاجمة المعاقل الصليبية، والفرار دون التعرف على هويتهم والقبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة(١٦٥).

ولكن برغم كل الإجراءات التي اتخذها القادة الصليبيون، لم يتوقف المسلمون عن اعتماد الزيّ والملبس أداةً للتنكر.

٢- التلثُّم

من مظاهر وآليات التنكر أيضًا التَلثّم (١٦٦)، وذلك بإخفاء الوجه أو جزء منه، حتى لا يُكتشف أمر المتنكر. وكان الدافع للتَلثّم يتم أحيانًا رغبة في تحّصيل الأجر عند الله سيما إذا تعلق الأمر بالجهاد في سبيل الله. فقد حمل الورع بعض المقاتلين المسلمين إلى النزول لساحات الجهاد وهم مُتَلثّمين. ومن ذلك ما أشار إليه ابن الأثير ضمن حوادث سنة ٤٩٩هـ/١١٠٦م (١٦٧) حيث تحدث عن قدوم مُلثَمين من المغاربة إلى الشرق الإسلامي، أحدهما فقيهًا عاش بدمشق يعظ وهو مُلثّم لا يظهر منه غير عينيه، وأما المُلثّم الثاني الذي وصفه ابن الأثير بأنه كان "شجاعًا فتّاكًا مقدامًا"، فقد انضم لصفوف المقاتلين بمصر للمشاركة في حركة الجهاد الإسلامي، "فلم يكن

للمصريين حرب مع الفرنج إلا وشهدها"، وظل يشارك في القتال مُلثّمًا حتى استشهد في إحدى المعارك(١٦٨).

تجدر الإشارة إلى أن بعضًا من المغاربة كانوا قد قدموا من بلادهم للشرق للمشاركة في الحرب ضد الصليبيين، وقد كثر مجيئهم في عهد الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي، والذي عُرِف عنه إحسانه للمغاربة، واستعانته بهم في حروبه ضد الصليبيين(١٦٩). ومن هؤلاء الذين قدموا هذين الملثمين الذين تمت الإشارة إليهما، فبعد أن خالطا الدمشقيين والمصريين، رفضا العودة إلى بلادهما، وقررا المشاركة في الجهاد ضد الصليبيين كلا في مجاله.

كذلك أشار أسامة بن منقذ(١٧٠) عن عجوز من جواري جَدّه يقال لها فنون، كانت قد تَلثّمت واستلت سيفا وخرجت تقاتل مع الرجال مدافعة عن بلدتها شيزر. ولا شك أن تلثمها جاء استجابة للمجتمع العربي الذي كان لا يسمح للمرأة بالخروج للقتال ومحاكاة الفرسان والتشبه بهم، فلم يكن أمام تلك المرأة إلا الخروج للجهاد وهي مُلثّمة حتى تخفي هويتها الأنثوية.

٣- اللغة

كذلك من آليات التنكر التي اعتمد عليها المسلمون والصليبيون لإحداث المفاجأة والتي اقتضتها طبيعة الحيلة أو الخُدعة، توظيف اللغة بمختلف لهجاتها وتطويعها لخدمة جانب من جوانب التنكر. واللغة بتعبير كارليل رداء الفكر، فالمعنى روح واللفظ جسم أو ثوب من اللحم يرتديه الفكر(١٧١). فبجانب الوظيفة الأساسية للغة وهي التعبير والتواصل بين أفراد المجتمع، وجدت لها وظيفة أخرى كأداة من أدوات التنكر.

فلإحداث عنصر المفاجأة اقتضت طبيعة الخدعة أو الحيلة اختيار مقدم الأسطول المصري الفاطمي لمجموعة من رجال البحرية الإسلامية ممن يجيدون

اللاتينية، واستطاعوا من خلال تنكرهم في اللسان اللاتيني إحداث المفاجأة والظفر بعدة مراكب صليبية كانت في طريقها إلى صور في شعبان ٥٥٠هـ/١١٥٥م تحمل المؤن والعتاد [١٧٢].

وفي محاولة للتجسس على المعسكر الإسلامي، دخل ثلاثة جواسيس صليبيين إلى معسكر المسلمين، مستخدمين اللسان العربي في التواصل مع الحراس المسلمين، وحصلوا منهم على معلومات مهمة أفادت الجانب الصليبي [١٧٣].

ولم يقف الحد عن استخدام اللغة وحدها، بل تعداها إلى تطويع اللهجة أيضًا في سبيل إنجاح الحيلة. فأحد المصادر الصليبية يحدثنا عن اقتراب أحد الجواسيس الصليبيين من الحرس الإسلامي وتحدثه معه باللهجة البدوية مستعلمًا منه عن بعض المعلومات الخاصة بالقوافل الإسلامية التي تمر بالطريق، ثم عاد الجاسوس المتنكر إلى المعسكر الصليبي ليخبرهم بقدوم قافلة إسلامية، فاستعدوا لنصب كمين لها في أواخر يونيو ١١٩٢م/٥٨٧هـ [١٧٤].

كذلك تم توظيف اللغة كأداة للتنكر حينما قرر كونراد من مونتيفرات دخول مدينة صور. فتذكر المصادر، أنه تنكر في هيئة التجار، ولما اقترب منه الحراس المسلمون حدثهم بنفسه أنه تاجر جاء ببضاعته لإنقاذ المسلمين المحاصرين بعكا[١٧٥].

ولأهمية اللغة كآلية من آليات التنكر دأب زعماء الباطنية وشيوخهم على تعليم عناصر الشباب من الفداوية اللغات المختلفة، حتى يستطيعون التعامل مع كل قوم بلغتهم دون حاجة إلى مترجم بينهم وبين أهل تلك البلاد[١٧٦]. وظهر ذلك جليًا عندما قرر الباطنية اغتيال الماركيز كونراد دي مونتيفرات، أرسلوا له ثلاثة فداوية يجيدون اللسان اللاتيني[١٧٧].

٤- تغيير الشكل والجنس

من آليات التنكر وأشكاله أيضًا، تَنكّر الرجل في صورة المرأة، والمرأة في صورة الرجل. والواقع أن التنكر من أجل تغيير الجنس، يعد من أسهل أنواع التنكر نسبيًا، وأكثرها اقناعًا، سيما إذا أُحكم تنفيذه. إذ من شأنه إحداث تغيُّر ملحوظ في الشكل باستخدام وسائل تَنكُّر فعلية قليلة. كما أنه يجعل تغيير الشكل أقل أهمية؛ إذ إن تغيير الجنس يخلق بلا شك شخصية جديدة يَصعُب الارتياب فيها. مع الأخذ في الاعتبار أن تَنكُّر الرجل في هيئة النساء لخداع رجل مثله، سيكون أكثر نجاحًا، مقارنة بتَنكُّر رجل في هيئة إمرأة لامرأة مثلها. فالنساء لديهن دراية عميقة بأساليب بنات جنسهن، وربما يلاحظن تباينًا ما في عادة أو سلوك، قد يقع فيه رجل بسبب جهله بتلك الأمور.

كذلك تكمن صعوبة التنكر في هيئة النساء في أن التنكر لن يتوقف عند حد التنكر المادي الشائع والمعروف، بل لابد أن يتخطاه إلى ما يمكن وصفه بالتنكر النفسي؛ وهو اتخاذ عادات وأنماط سلوكية نسائية، وخلق ظروف تدل على شخصية أنثوية، وتلك الأمور من شأنها أن تترك لدى الطرف المُتَنكر عليه قناعة راسخة بجنس المُتَنكر. وهي آلية صعبة فشل الأمير الصليبي بوهيموند الأول في تحقيقها حينما حاول التخفي في هيئة النساء لينجو بنفسه من القتل أو الأسر إبان مروره بأحد الكمائن التركية حسبما سبقت الإشارة.

من آليات التنكر أيضًا تغيير الشكل عن طريق حلق اللحية. فلما كان حلقها يؤدي نسبيًا إلى تغيير الشكل، فقد أُشيع التنكر من خلال لجوء بعض المقاتلين المسلمين إلى حلق لحاهم تشبهًا بالصليبيين الذين كان من عاداتهم حلق لحاهم وتقصير شعورهم(١٧٨). فعندما حاول صلاح الدين إمداد المسلمين بعكا بالمؤونة أثناء حصار الصليبيين لهم، لجأ رجال البحرية الإسلامية المكلفون بتنفيذ المهمة إلى حلق لحاهم حتى يظن الصليبيون أنهم من بني جنسهم، وقد حققت الحيلة النجاح المنشود(١٧٩).

٥- العقيدة

العقيدة في أبسط تعريف لها هي ما عقد عليه القلب والضمير وما تدين به الإنسان واعتقده(١٨٠)، أو هي مجموعة الأفكار التي يؤمن بها الإنسان، ويصدر عنها في تصرفاته وسلوكه(١٨١). ولما كانت العقيدة سرًا بين العبد وربه، فإن التظاهر بالتحول عنها لعقيدة أخرى سيكون آلية جيدة من آليات التنكر.

والواقع أن التنكر من خلال التظاهر بتغيير العقيدة هو أمر أجازه أصحاب المذهب الإسماعيلي الذي ينتمي إليه الحشاشين الباطنية، حيث سمحوا لأتباعهم بإخفاء ديانتهم وعقيدتهم ومذهبهم، واللجو بالتحول لعقيدة ومذهب آخر في سبيل الوصول إلى مآربهم فيما عُرف عندهم بمبدأ "التقية".

فعندما أرادوا التخلص من القائد السُنيّ تاج الملوك بوري سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م، تخلوا ظاهريًا عن مذهبهم الشيعي الإسماعيلي، وتظاهروا بالمذهب السُنيّ، مما سهّل عليهم الانضمام لخدمة بوري، حتى سكنت لهما القلوب، فانقضوا عليه وأصابوه في مقتل(١٨٢).

كذلك، لم يجد الفداوية الباطنية غضاضة في التظاهر بالتحول للمسيحية على المذهب الكاثوليكي، وتنكرهم في زي الرهبان مما سهّل عليهم دخول مدينة صور الصليبية، ومكّنهم تنكرهم هذا من الالتحاق بكنيستها، وبالتالي الاقتراب من ضحيتهم الماركيز كونراد من مونتيفرات حاكم صور، وعقد صلات تقارب معه، حتى إذا ما تمكنوا منه، سددوا له طعنات قاتلة أودت بحياته آخر المطاف(١٨٣).

الخاتمة

خَلُصت الدراسة إلى عدة نتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

أولًا: أوضحت الدراسة أن التنكر مُورس من قِبَلْ المسلمين والصليبين على حد السواء في الفترة قيد الدراسة، كحيلة من حِيل الخداع التي جرت بين الجانبين، وسلاحًا من أسلحة الحرب.

ثانيًا: تعددت أسباب ودوافع وأغراض التنكر، فمنها ما كان لتحقيق أغراض تجسسية وسياسية، وادارية، وعسكرية، فضلا عن استخدامه في عمليات الاغتيال والتخلص من الخصوم.

ثالثًا: في ظل غياب أدوات التنكر الحديثة كعمليات التجميل، والمساحيق والإكسسورات، تم الاعتماد على الملابس كآلية من آليات التنكر؛ لذلك تزيّ المتنكرون بزي العامة، والتجار، والصوفية، والعسكر، والرهبان، الفرنجة والبدو وغيرهم، على نحو دلّ على أن تلك الفئات كانت لهم أزياء خاصة بهم تُميزهم عن غيرهم.

رابعًا: لوحظ كذلك تطويع اللغة والعقيدة كآلية من آليات التنكر كي يتيح المُتنكر لنفسه حسن الأداء وحرية التقلب بين الشخصيات.

خامسًا: كشفت الدراسة عن خطورة التنكر، وذلك عند استخدامه كوسيلة لارتكاب جرائم الاغتيال والقتل. فهو وسيلة ناجعة في تنفيذ مهام الاغتيال بنجاح، وإفلات الجُناة من العقاب، والاختفاء عن أعين العدالة. وقد تجلت خطورته في إتقان الحشاشين الباطنية له، فمن خلاله جرى التخلص من العديد من قادة حركة الجهاد الإسلامي عصر الحروب الصليبية.

سادسًا: يمكن القول إن حيل التنكر أسهم أغلبها في تغيير مجريات الأحداث والتاريخ. فبفضلها كُتبت أعمار جديدة لبعض القادة السياسيين، وبسببها أيضًا اختفى قادة آخرون من مسرح الأحداث.

الهوامش

(١) التنكر في العصر الفاطمي- دراسة تأريخية (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م)، العدد (٥٣)، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة ٢٠١٩م، ص ٤٨١-٥٢٨.

(٢) دواعي التنكر في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م) دراسة تاريخية، مج١٢، عدد (٤٣)، مجلة كلية الآداب – جامعة الكوفة ٢٠٢٠، ص ٢٣١-٢٧٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت د.ت، مج٥، ص٢٣٤؛ الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٦م، مج١، ص٢٨٣.

(٤) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط.٤، القاهرة ٢٠٠٤م، ص٩٥٢؛ معجم اللغة العربية المعاصرة، إشراف: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط.١، القاهرة ٢٠٠٨م، مج٣، ص٢٢٨٠.

(٥) سورة يوسف: ٥٨.

(٦) التفسير الميسر، إشراف: صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ، مجمع الملك فهد للطباعة، ط. المدينة المنورة ١٤٣٠هـ، ص٢٤٢.

(٧) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط.١، بيروت ٢٠٠٦م، ج١١، ص٣٩١.

ثمة رواية تذهب إلى أن يوسف الصديق –عليه السلام– كان أول من وضع قناعًا فرعونيًا مُذهبًا على وجهه، تنكر فيه لإخوته لكي يختبرهم حسبما ورد في سفر التكوين: "وَلَمَّا نَظَرَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ عَرَفَهُمْ، فَتَنَكَّرَ لَهُمْ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ بِجَفَاءٍ، وَقَالَ لَهُمْ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟» فَقَالُوا: «مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ لِنَشْتَرِيَ طَعَامًا». انظر: سفر التكوين: ٤٢: ٧؛ طالب عباس العسكري: الحفلات التنكرية بين الماسونية والشريعة الإسلامية، العدد (٥١٢٩)، موقع الحوار المتمدن، أبريل ٢٠١٦م على الموقع: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=512877

(٨) سورة النمل: ٤١.

(٩) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آى القرآن "تفسير الطبري"، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، ط.١، القاهرة ٢٠٠١، ج١٨، ص٧٥-٧٧.

(١٠) قبش، أحمد: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، دار الرشيد، ط.بيروت ١٩٨٥، ج٤، ص٢٢.

والأبيات للشاعر أحمد الأبيوردي، وهو من شعراء العصر العباسي، والقصيدة من بحر الطويل.

(١١) عطية، عبود وسيم: التنكر في العصر الفاطمي، ص٤٨٢؛ حيدر لفته سعيد مال الله: دواعي التنكر في العصر الأموي، ص ٢٣٤.

(١٢) عطية، عبود وسيم: التنكر في العصر الفاطمي، ص٤٨٢؛ حيدر لفته سعيد مال الله: دواعي التنكر في العصر الأموي، ص ٢٣٤.

(١٣) قرامي، آمال: الإختلاف في الثقافة العربية الاسلامية دراسة جندرية، دار المدار الإسلامي، ط.١، بيروت ٢٠٠٧م، ص٤١٤.

(١٤) للقصة بأكملها راجع: سفر التكوين، ٢٧: ١-٣٥. وراجع أيضًا: فريزر جيمس: الفلكلور في العهد القديم، ترجمة نبيلة إبراهيم، مراجعة: حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ج٢، ص١٢٥-١٥٢.

(١٥) راجع: سفر التكوين: ٤٢: ٧؛ طالب عباس العسكري: الحفلات التنكرية بين الماسونية والشريعة الإسلامية، العدد (٥١٢٩)، موقع الحوار المتمدن، أبريل ٢٠١٦م على الموقع:
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=512877

(١٦) "فقال ملِك إسرائيل ليهُوشَافَاطَ: «إِني أتنكَّر وأدخل الحرب، وأما أنت فالبس ثيابك. فتَنَكَّرَ مَلِك إسرائيل ودخل الحرب"الملوك الأول، ٢٢: ٣٠. وانظر أيضًا: سفر أخبار الأيام الثاني، ١٨: ٢٩.

(١٧) صموئيل الأول، ٢٨: ٨.

(١٨) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، ط.١، بيروت ١٩٨٧م، مج١، ص٥٦٧؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، تحقيق وتعليق: مأمون محمد سعيد الصاغرجي، مراجعة: عبدالقادر الأرناؤوط و بشار عواد معروف، دار بن كثير، ط.٢، دمشق ٢٠١٠م، ج٣، ص٤٣٩. وانظر أيضًا: الباليساني، أحمد محمد طه: فقه الإمام علي بن أبي طالب، دار الكتب العلمية، ط.١، بيروت ١٩٧١م، ج١، ص١٦؛ حيدر لفته سعيد مال الله: دواعي التنكر في العصر الأموي، ص ٢٣٤.

(١٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤، ص٣٠٧-٣٠٧.

(٢٠) تستر: مدينة فارسية على حدود بلاد العراق، بينها وبين بلاد فارس، فتحها المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، ط.بيروت د.ت، مج٢، ص٢٩-٣٠.

(٢١) نهاوند: بفتح النون الأولى وتكسر، والواو مفتوحة، ونون ساكنة، ودال مهملة: مدينة كانت تتبع لبلاد فارس، فتحها المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وتحديًا سنة ٢١هـ، فسُميت

المعركة باسمها، وتُطلق عليها المراجع معركة فتح الفتوح، فبعدها تساقطت المدن الفارسية واحدة تلو الأخرى حتى زالت الإمبراطورية الفارسية. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٥، ص٣١٣. وعن معركة نهاوند بالتفصيل راجع: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان، مؤسسة المعارف، ط.بيروت ١٩٨٧م، ج٢، ص٣٧١ وما بعدها؛ دوري، قيس عبدالعزيز مهدي: معركة نهاوند (فتح الفتوح) وأثرها في إنهاء الحكم الساساني ٢١م/٦٤١هـ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، ط.بغداد ٢٠٠٣م.

(٢٢) عن تفاصيل فتح مدينة تستر باستخدام الحيلة. راجع: حيدر لفته سعيد مال الله: دواعي التنكر في العصر الأموي، ص ٢٣٥.

(٢٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب العباسي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، ط.٦، بيروت ١٩٩٥م، مج٢، ص١٨٣؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٦٠-٦١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص٤٢٦؛ قرامي، آمال: الإختلاف في الثقافة العربية الاسلامية، ص٤١٤-٤١٥؛ حيدر لفته سعيد مال الله: دواعي التنكر في العصر الأموي، ص ٢٣٦.

(٢٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٢٧٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص٢٢١.

(٢٥) ضناوي، سعيد: موسوعة هارون الرشيد، دار صادر، ط.١، بيروت ٢٠٠١م، مج١، ص١٠٥.

(٢٦) تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص١٦٨.

(٢٧) راجع: عطية، عبود وسيم: التنكر في العصر الفاطمي، ص ص٤٨١-٥٢٨.

(٢٨) سيد، عبدالله عيد كمال: التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧-٩٢٣هـ/١١٧١-١٥١٧م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة المنصورة عام ٢٠١١م، ص٣٢؛ حماد، فتحي أحمد محمد شاهين: العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهدين الزنكي والأيوبي (٥٢٢ – ٦٤٨ هـ / ١١٢٨ – ١٢٥٠)، ص٧٣-٧٤.

(٢٩) سيد، عبدالله عيد كمال: التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي، ص٣٢؛ حماد، فتحي أحمد محمد شاهين: العيون والجواسيس، ص٧٧.

(٣٠) قلج أرسلان: هو عز الدين قلج أرسلان الأول ابن سليمان الأول بن قتلمش مؤسس سلطنة سلاجقة الروم، وقد تصدى السلطان قلج أرسلان لحملة العامة ثم لحملة الأمراء، وكانت نهايته في معركة وقعت عند نهر الخابور في الثالث من يوليو سنة ١١٠٧م/٥٠١هـ. انظر: عوض، محمد مؤنس: معجم أعلام الحروب الصليبية، ص١١٦.

(٣١) بطرس الناسك: راهب وخطيب من مدينة أميان الفرنسية، ويعد واحد من دعاءة الحروب الصليبية أواخر القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري. قاد مجموعة من الفرنسيين إلى أراضي

الشرق الإسلامي سنة ١٠٩٦م/٤٨٩هـ فيما عُرف بالحملة الشعبية، وقد توفى سنة ١١١٥م. عنه انظر: حبشي، حسن: الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، ط.١، القاهرة ١٩٥٨م، ص٥٣-٥٤؛ الشيخ، محمد مرسي: حملة بطرس الناسك الصليبية في ضوء كتابات آنا كومنينا، العدد (٢)، مجلة كلية العلوم الاجتماعية -جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٩٧٨م، ص٣٠٠ وما بعدها.

(٣٢) ألبرت فون آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى ومملكة بيت القدس، ترجمة محمد حمدان أحمد، دار الإعصار العلمي، ط.١، دمشق ٢٠١٦م، ص٣٧.

(٣٣) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ت. حسن حبشي، ٤ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.القاهرة ١٩٩٢م، ، ج١، ص٣٠١-٣٠٢.

(٣٤) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج١، ص٣٠١-٣٠٢.

(٣٥) بوهيموند الأول: هو أكبر أبناء روبرت جويسكارد Robert Guischard دوق كالابريا Calabria. ولد سنة ١٠٥٨م في جنوب إيطاليا. وقد شارك في الحملة الصليبية الأولى التي خرجت من الغرب الأوروبي سنة ١٠٩٦م، واشترك في حصار مدينة أنطاكية حتى تم الاستيلاء عليها بعد حصار دام تسعة أشهر، وأصبح أول حاكم صليبي لها. انظر:
Yewdale, Bohemond I, Prince of Antioch, (Amsterdam 1970), pp.9-51.

(٣٦) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج١، ص٣٠٢-٣٠٣.

(٣٧) ألبرت فون آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ص٢٢٧.

(٣٨) بلدوين الأول: هو الابن الثالث ليوستاس الثاني كونت بولوني Eustace II Count of Boulogne، وايدا أوف بولوني Ida of Boulogne ، ولد ما بين عامي ١٠٦١م، ١٠٧٠م، صاحب أخوه جودفري البولوني في الحملة الصليبية الأولى، تولى كونتية الرها (١٠٩٧-١١٠٠م)، ولما مات أخوه سنة ١١٠٠م، أُستدعى ليحل محله فى حكم المملكة، فكان أول من حمل لقب ملك. ويعد بلدوين الأول المؤسس الحقيقي لمملكة بيت المقدس والتي استمرت تحت حكمه منذ سنة ١١٠٠م وحتى وفاته سنة ١١١٨م. انظر: فوشيه الشارتري: الإستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة ودراسة وتعليق: قاسم عبده قاسم، ط.١، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠١م، ص١٧٣؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي،٤ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.القاهرة ١٩٩١-١٩٩٥م، ج٢، ص١٩٤-١٩٥؛ محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ، القاهرة ٢٠١٥م، ص٣٦٢. وللمزيد عنه انظر: هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس الصليبية فى

عهد الملك بلدوين الأول (٤٩٤-١١٠٠هـ/٥١٢-١١٠٠م)، دار العالم العربي، ط. القاهرة ٢٠٠٨م.

(٣٩) عن معركة الرملة الثانية: انظر: فوشيه الشارتري: الإستيطان الصليبي، ص١٨٥-١٨٦؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٤١؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٠١-٣٠٢؛ عاشور، سعيد عبدالفتاح: الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط.٢، القاهرة ١٩٧١م، ج١، ص٢٩٦-٢٩٨؛ زيد، أسامة زكي: حملات الرملة الثلاث ضد الصليبيين في عهد الوزير الفاطمي الأفضل (١١٠١-١١٠٥م/٤٩٥-٤٩٩هـ)، ضمن كتاب: دراسات في تاريخ العصور الوسطى، ط. الإسكندرية ٢٠٠٦م، ص٥١-٥٥؛ هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد الملك بلدوين الأول، ص٨٢-٨٣. وانظر:

Grousset Rene, Histoire des Croisades, (Editions Tallander, paris 1981), vol. II, pp.231-232.

(٤٠) فوشيه الشارتري: الإستيطان الصليبي، ص١٨٨؛ زيد، أسامة زكي: حملات الرملة الثلاثة، ص٥٨.

(٤١) جوهر مؤتمن الخلافة: هو أحد خِصّيان القصر الفاطمي، والمُتَحكم فيه. انظر: ابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠١٢م، ج٩، ٢٤٥-٢٤٦؛ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوبي، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط.القاهرة ١٩٥٣م، ج١، ص١٧٤.

(٤٢) عموري الأول: هو الابن الثاني للملك فولك، ولد عام ١١٣٥م/٥٢٩-٥٣٠هـ تولى كونتية يافا وعسقلان عام ١١٤٥م/٥٤٠هـ فى عهد أخيه الأكبر الملك بلدوين، وظل فى منصبه حتى وفاة أخيه، فأل إليه عرش القدس بحكم الوراثة عام ١١٦٣م وظل فيه حتى وفاته عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ. عنه بالتفصيل انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٤، ص١٦-١٨؛ حجازي عبد المنعم سليمان: السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس عهد الملك عموري الأول (١١٦٣-١١٧٤م/٥٥٨-٥٦٩هـ)، دار الآفاق العربية، ط.القاهرة ٢٠١٤م؛ ص١١٦.

(٤٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ٢٤٥-٢٤٦؛ أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط.١، بيروت ١٩٩٧م، ج٢، ص١٣٠-١٣١؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص١٧٤-١٧٦.

بعد اكتشاف المتنكر واقراره بأمر المتآمرين، أرسل صلاح الدين بعض عساكره إلى مؤتمن

الخلافة فقتلوه بقرية تعرف بالحرقانية كان يتنزه بها، كما قضى صلاح الدين على ثورة السودانيين الموالين لمؤتمن الخلافة بمصر. للتفاصيل راجع: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ٢٤٦؛ أبو شامة: الروضتين، ج٢، ص١٣١.

(٤٤) كنيسة كانت بالقدس، كانت تقع على الجانب الجنوبي من الشارع الذي يعبر من أمام كنيسة القبر المقدس. راجع: يوحنا فورزبورغ: وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق: سعيد البيشاوي، دار الشروق، ط.١، عمان ١٩٩٧م، ص٧٨، هامش٢.

(٤٥) جي لوزنيان: ابن هيو الثامن أوف لوزنيان Hugh VIII of Lusignan وهو نبيل من بواتو، قدم جي لوزنيان مملكة بيت المقدس سنة ١١٨٠م برفقة أخيه إيمري لوزنيان، وتزوج من سيبيلا أخت الملك بلدوين الرابع سنة ١١٨٣م. وبعد وفاة بلدوين الرابع سنة ١١٨٥م، تم إعلان سيبيلا وزوجها جي ملكين على بيت المقدس، شارك في معركة حطين سنة ١١٨٧م ووقع في الأسر، ثم أطلق صلاح الدين سراحه بعد أن تعهد بعدم قتاله، إلا أنه حنث بيمينه وعاد لمحاربته، وبعد أن فشل في تحقيق حلمه بفلسطين، هاجر إلى قبرص وأسس هناك إمارة صار حاكمها في الفترة ١١٩٢ وحتى وفاته سنة ١١٩٤م. انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٣٩٤-٣٩٥. ولمزيد عنه انظر: سهير نعينع: "جي دو لوزينيان وصلاح الدين الأيوبي بين الحرب والسلام، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص٣٧٤-٣٩٩.

(٤٦) مجهول: ذيل وليم الصوري، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص٤٤

(٤٧) مجهول: ذيل وليم الصوري، ص٤٦-٤٧.

(٤٨) ريتشارد قلب الأسد: هو الابن الثاني للملك هنري الثاني Henry II (١١٥٤-١١٨٩م) ملك انجلترا، وإليانور الأكويتانية Eleanor of Aquitaine، شارك في الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م)، واستطاع مع قواته الاستيلاء على مدينة عكا، وبرغم ما أحرزه من نصر على صلاح الدين في معركة أرسوف في سبتمبر سنة ١١٩١م، إلا أنه لم ينجح في انتزاع مملكة بيت المقدس من أيدي المسلمين، واضطر إلى عقد معاهدة الرملة مع صلاح الدين، ثم أبحر بعدها عائدًا إلى انجلترا. انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحرب الصليبية، ص٤١٤-٤١٥. وللمزيد عنه انظر: زينب عبدالقوي: الإنجليز والحروب الصليبية (١١٨٩-١٢٩١م)، القاهرة ١٩٩٦م؛ علي رمضان فاضل: ريتشارد قلب الأسد فارس أوروبا الأول، الجيزة ٢٠١١م. وراجع:

Al-Mayman, Al-Jouharah Bent Saleh Ben Abd-Arrahman, Richard the Lion Heart and Salah Ad-Din Al-Ayyubi: A historical com parative study, (Unpublished Ph.D Thesis), The Florida State University, 1993, pp.37-38.

(٤٩) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريشارد) ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة ١٩٩٩م ، ج٢، ص٢١٣-٢١٤. وانظر أيضًا:

Geoffrey de Vinsauf, Richard of Holy Trinity Itinerary of Richard I and others to the Holy Land, trans. A Classical Scholar and A Gentleman Well-Read in Midiaeval History, (In Parentheses Publications Medieval Latin Series, Cambridge, Ontario 2001), pp.250-251.

(٥٠) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٦٤م ، ص٣١٨؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٥١) بلدوين الثاني: هو بلدوين من بورج Baldwin de Bourg ابن هيوج الأول من ريثل Hugh I Count of Rethel من زوجته مليسيند ابنة بوشارد من مونتييري Melisende of Monthléry، ولد سنة ١٠٦٠م بفرنسا، تولى حكم إمارة أنطاكية خلفًا لابن عمه بلدوين الأول، وبعد وفاة الأخير سنة ١١١٨م خلفه في حكم مملكة بيت المقدس وظل حاكما لها حتى وفاته سنة ١١٣١م. انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٣٦٦-٣٦٧. وللمزيد عنه انظر صفاء عثمان: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م)، ط. القاهرة ٢٠٠٨م.

(٥٢) جوسلين الثاني: أمير الرها خلال الفترة ١١٣١-١١٤٤م، وهو من أم أرمينية هي أخت ليون الأرميني، ويعد من الأمراء الذين ولدوا بالشرق، تزوج من بياتريس، أرملة حاكم صهيون بالقرب من اللاذقية، وقد أنجب منها ولدًا هو جوسلين الثالث، وبنتين هما آجنيس وايزابيلا. انظر: محمد مؤنس عوض: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٣٩١.

(٥٣) عن أسر الملك بلدوين الثاني وجوسلين وايداعهما سجن قلعة خرتبرت انظر: فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص؛ متىَّ الرَّهاوي: تاريخ متىَّ الرَّهاوي، ترجمة محمود محمد الرويضي وعبدالرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات والنشر والتوزيع، أربد ٢٠٠٩م، ص٢٢٤-٢٢٦؛ وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٦٢-٣٦٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٦٧١.

ظل بلدوين أسيرا بسجون المسلمين ثمانية عشر شهرا حتى تم اطلاق سراحه مقابل مئة ألف

ميخائيلي. ويذكر ابن العديم انه تم اطلاق سراحه من سجن شيزر في يوم الجمعة ١٧ رجب ٥١٨هـ/١١٢٤/٨/٣٠م. انظر: تاريخ متى الرهاوي، هامش٢، ص٢٣٦.

(٥٤) قلعة خَرْتَبِرْت: قلعة تقع أقصى بلاد ديار بكر، بينه وبين ملطية مسيرة يومين. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، ط. بيروت د.ت، مج٢، ص٣٥٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٢١.

(٥٥) فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص٢٥٩.

(٥٦) فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص٢٥٩؛ وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٦٤-٣٦٥.

(٥٧) فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص٢٦٠-٢٦١.

(٥٨) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٦٥.

(٥٩) تاريخ متى الرهاوي، ص٢٢٧.

(٦٠) تاريخ متى الرهاوي، ص٢٢٨؛ أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ضمن كتاب الموسوعة الشامية، ترجمة وتحرير: سهيل زكار، دار التكوين، ط. دمشق٢٠٠٨م، ج٤٨، ص٣١٣-٣١٤.

(٦١) التاريخ الكنسي، ج٤٨، ص٣١٣.

(٦٢) التونية: كلمة معربة أصلها في اليونانية Khiton ومعناها بالإنجليزية Tunic أي القميص أو الرداء، وهي عبارة عن رداء طويل كالجلباب يصل إلى الأقدام. انظر: إبراهيم، محمد: تطور الملابس في المجتمع المصري من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، مكتبة مدبولي، ط.١، القاهرة ٢٠٠٧م، ص٢٤٧، هامش ١١٠. وانظر أيضًا: إبراهيم، رجب عبدالجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، تقديم: محمود فهمي حجازي، مراجعة: عبدالهادي التازي، دار الآفاق العربية، ط.١، القاهرة ٢٠٠٢م، ص٩٨؛ حمزة، شعبان: الملابس والزينة في المجتمع البيزنطي في العصور الوسطى دراسة تاريخية حضارية"، الدار الثقافية للنشر، ط.١، القاهرة ٢٠١٦م، ص٨.

(٦٣) إبراهيم، محمد: تطور الملابس، ص٢٤٧، هامش ١١٠. وانظر إبراهيم، رجب عبدالجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، ص٩٨.

(٦٤) إبراهيم، محمد: تطور الملابس، ص٢٥٠.

المسوح من أشهر الملابس التي ارتبطت بالرهبان وميزتهم في العصور الوسطى. عنها انظر: محمد إبراهيم: تطور الملابس، ص٢٥٠؛ حمزة، شعبان: الملابس والزينة، ص٣٠.

(٦٥) بَلك بن بهرام : هو الملك نجم الدين بن الأمير أرتق بن أكسب التركماني، صاحب ماردين، كان هو وأخوه الأمير سُقمان من أمراء تاج الدولة تُتش صاحب الشام، فأقطعهما القدس وبعض مدن الشام، وكان ذا شجاعة، ورأي، وهيبة وصيت، تصدى للصليبيين، ونجح في الاستيلاء على قلعة خرتبرت. عنه بالتفصيل انظر: ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٢٠٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٢١.

(٦٦) متى الرهاوي: تاريخه، ص٢٢٨؛ وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٦٦-٣٦٧؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٠؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٢١٣؛ أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ج٤٨، ص٣١٤-٣١٨.

(٦٧) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٦٧-٣٦٨.

(٦٨) سُقْمان بن أُرْتُق بن أكسب التركماني أخو الملك إيلغازي، من أمراء الأراتقة بديار بكر، تولى حكم مدينة بيت المقدس نيابة عن حكامها الفعليين السلاجقة، وظل واليًا عليها حتى أخذها منه الوزير الفاطمي بدر الدين الجمالي سنة ١٠٩٩م/ ٤٩٢هـ، فذهب واستولى على ماردين وديار بكر. وكان له دور بارز في التصدي للصليبيين. توفيَّ سنة ١١٠٤م/٤٩٧هـ. انظر: عماد الدين الأصفهاني: البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، دراسة وتحقيق: محمد علي الطعاني، مؤسسة حمادة، ط.أربد ٢٠٠٣م، هامش (٥)، ص٣٢٣؛ حسين، علي: "تاريخ الأراتقة في مدينة ماردين"، العدد (٦)، سنة ٢٠٢٠م، ص١٦١-١٦٢.

(٦٩) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٩٧.

(٧٠) أسامة بن منقذ: الاعتبار، تحقيق وتعليق: عبدالكريم الأشتر، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت ٢٠٠٣م، ص١٧٠-١٧١؛ حماد: العيون والجواسيس، ص٨٢.

(٧١) العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي – حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس، دار المنار، ط.١، القاهرة ٢٠٠٤م، ص٢٢١؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٣٣٠-٣٣١؛ عاشور، سعيد عبدالفتاح: الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو، ط.٩، القاهرة ٢٠١٠م، ج٢، ص١٢٨-١٢٩.

(٧٢) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٢٢١-٢٢٢؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٠٦ ؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص١٥٣-١٥٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٨٥؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٣٣٠-٣٣١. وراجع: عاشور، سعيد عبدالفتاح: الحركة الصليبية، ج٢، ص١٢٩.

(٧٣) الفتح القسي، ص٢٢١-٢٢٢.

المعروف أن الأوربيين كان من عاداتهم حلق ذقونهم وتقصير شعورهم. انظر: شعبان حمزة: الملابس والزينة، ص١٠. والمؤكد أن الجنود المسلمين اضطروا إلى حلق لحاهم؛ حتى يكونوا أقرب إلى هيئة الأوربيين.

(74)Malkiel D., "The Underclass in the first Crusade: A Historiographical Trend", Journal of Medieval History 28, (2002), p.184.

(٧٥) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص١٨٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٧٤؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص ص١٠٦-١٠٧، ص١٤٤؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٣٣٢-٣٣٣.

(٧٦) الروضتين، ج٤، ص١٤٧. وراجع أيضًا:

Conor Kostick, Women and the first Crusade: Prostitutes or Pilgrims?, in: The Social Structure of the First Crusade, (Brill Academic Publishers, London 2023), pp.283-284.

(77)Conor Kostick, Women and the first Crusade, pp.271-272.

وراجع: سلامة، جلال حسني: دور النساء الأوربيات في الحملة الصليبية الثالثة بعد تحرير الأراضي المقدسة عام ١١٨٧م، العدد (٤٩)، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، يونيو ٢٠١٩م، ص٤٥-٤٦.

(٧٨) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص١٨٦-١٨٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٧٤؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص١٠٤-١٠٦؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، إعداد وتحقيق ومراجعة: عدنان يونس عبدالمجيد أبو تبانة، مكتبة دنديس، ط.١، عمان ١٩٩٩م، مج١، ص٥٠٦-٥٠٧

(٧٩) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص١٨٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٧٤؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص١٠٦-١٠٧؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٣٣٣؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مج١، ص٥٠٧.

(٨٠) سلامة، جلال حسني: دور النساء الأوربيات في الحملة الصليبية الثالثة، ص٤٨.

(٨١) القديسة هيلديجوند: راهبة ألمانية، قدمت من ألمانيا إلى الأراضي المقدسة وهي في سن صغيرة، وعاشت بها تحت اسم مستعار وهو جوزيف أو يوسف حتى وفاتها في أبريل سنة ١١٨٨م. للمزيد عنها بالتفصيل انظر:

Alban Butler and Donald Attwater, "St Hildegund Virgin", Butler's Lives of the Saints, (Library of Congress Catalog C; London 1981), pp.135-136.

(٨٢) فرسان المعبد: ويعرفون أيضًا بفرسان الداوية، وهى هيئة عسكرية رهبانية تأسست بعد عشرين عامًا من تأسيس هيئة الإسبتارية، وظهرت فى مدينة بيت المقدس، وهى تختلف عن الإسبتارية فى أنها تبنت سياسة حربية منذ بداية نشأتها . للمزيد عن فرسان المعبد أو الداوية راجع : وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ٢، ص٣٤٥-٣٤٧؛ إبراهيم خميس إبراهيم سلامه: العلاقات السياسية بين جماعة فرسان الداوية والمسلمين فى بلاد الشام (١١٩٣-١٢٩١م/٥٨٩-٦٩٠هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٣م، ص٣٤-٤١؛ نبيلة إبراهيم مقامي: فرق الرهبان الفرسان، ص١٦-٢١. وراجع أيضًا:

Piers Paul Read, The Templars, (London 1999), pp. 91-94.

(83) Alban Butler and Donald Attwater, "St Hildegund Virgin", p.135; Helen J. Nicholson, "Women's Involvement in the Crusades" in: The Crysader World, (ed.), Adrian J. Boas, (Routledge, London and New York 2016), p.60; Conor Kostick, Women and the first Crusade, p.284.

(٨٤) ستيفن كونت بلوا: أحد قادة الحملة الصليبية الأولى، ولد سنة ١٠٤٥م، وهو ابن ثيبود الثالث كونت بلوا وشامبني، سافر إلى الشرق ضمن الحملة الصليبية الأولى، وخلال أحداث حصار أنطاكية وما صاحبه من ظروف سيئة على الصليبيين لاذ ستيفن بالفرار من الجيش الصليبي، وقفل عائدًا إلى بلاده. انظر: عوض، محمد مؤنس: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٤١٩.

(٨٥) مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة وتقديم وتعليق: حسن حبشي، القاهرة ١٩٥٨م ، ص٥٥؛ أورديك فيتالي: التاريخ الكنسي، ترجمة سهيل زكار، الموسوعة الشامية، دار التكوين، ط. دمشق ٢٠٠٨م، ج٤٨، ص ص٥٥-٥٦، ٧٥.

(٨٦) ملطية: بلدة كانت تتبع بلاد الروم (البيزنطيين)، تتاخم بلاد الشام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٤، ص٦٣٤.

(٨٧) متى الرهاوي: تاريخه، ص١٠٩. وراجع: Yewdale, Bohemond I, Prince of Antioch, p.92.

يحدد وليم ألبرت فون آخن ووليم الصوري أسر بوهيموند بـ ١٥ أغسطس ١١٠٠م. انظر: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ص٢٨٤؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص١٨٣-١٨٤. وراجع أيضًا: Grousset Rene, Histoire des Croisades, vol. II, pp.17-18.

(٨٨) متى الرهاوي: تاريخه، ص١٠٩.

(٨٩) متى الرهاوي: تاريخه، ص١٠٩؛ ألبرت فون آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ص٢٨٤.
وانظر: Yewdale, Bohemond I, Prince of Antioch, p.93; Grousset Rene, Histoire des Croisades, vol. II, pp.18.

(٩٠) الحروب الصليبية، ج٢، ص١٨٣.

(٩١) فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص١٨٦-١٨٧؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٤١؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٧٥؛ عاشور، سعيد عبدالفتاح: الحركة الصليبية، ج١، ص٢٩٧؛ زيد، أسامة زكي: حملات الرملة الثلاث، ص٥٢-٥٤؛ هنادي السيد: مملكة بيت المقدس في عهد بلدوين الأول، ص٨٣-٨٤. وانظر أيضًا:

Grousset., Histoire des Croisades, Vol. I, p.232.

(٩٢) متى الرهاوي: تاريخه، هامش٣، ص١٢٣؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٣٢-٢٣٣.

جاءت مساعدة الدليل العربي للملك بلدوين في الهرب ردًا لجميل سابق، حيث كان قد سبق للملك أن أنقذ زوجة هذا العربي من الموت، فحفظ له العربي الجميل. راجع: وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٣٢-٢٣٣؛ عاشور، سعيد عبدالفتاح: الحركة الصليبية، ج١، ص٢٩٧؛ زيد، أسامة زكي: حملات الرملة الثلاث، ص٥٣، هامش (١).

(٩٣) فوشيه الشارتري: الاستيطان الصليبي، ص١٨٧.

(٩٤) هو روجر الثالث دوق أبوليا، ولد سنة ١١١٨م، وهو الابن الأكبر للملك روجر الثاني حاكم صقلية، أصبح دوقًا لأبوليا سنة ١١٣٤م وحتى وفاته سنة ١١٤٨م. عنه بالتفصيل راجع:

Matthew, Donald, The Norman Kingdom of Sicily, (Cambridge: Cambridge Press, 1992); Houben, Hubert, Roger II of Sicily: A Ruler Between East and West (Cambridge: Cambridge Press, 2002).

(٩٥) رايموند كونت بواتييه: هو الابن الثاني لوليم العاشر دوق أكوتين William X Duke of Aquitaine، ولد عام ١٠٩٩م، وبعد أن أصبح شابًا يافعًا، وفي أثناء زيارته لبلاط الملك هنري الأول Henry I ملك إنجلترا، وصلته رسالة من ملك بيت المقدس فولك الأنجوي Fulk de Anjou (١١٣١-١١٤٣م) يعرض عليه فيها تزويجه من الأميرة كونستانس Constance

أرملة ووريثة الأمير بوهيموند الثالث أمير أنطاكية Bohemond III، واستجابة لطلب الملك فولك، سافر رايموند إلى أنطاكية، وتزوج من كونستانس سنة ١١٣٦م، فآل له حكم إمارة أنطاكية منذ سنة زواجه وحتى وفاته سنة ١١٤٩م. انظر: عطية، حسن محمد: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م/٥٦٧-٦٦٦هـ)، تقديم: جوزيف نسيم يوسف و بيتر وليام إدبيوري، دار المعرفة الجامعية، ط.١، الإسكندرية ١٩٨٩م، ص١٤٥-١٤٦، هامش ٢١٣؛ عوض، محمد مؤنس أحمد : معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٦٠٤-٦٠٥.

(٩٦) كونستانس: أميرة أنطاكية في الفترة (١١٢٨-١١٦٣م)، وهي الابنة الوحيدة لأمير أنطاكية بوهيموند الثاني من زوجته أليس. انظر: عطية، حسن محمد: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ص١٤٤، هامش ٢٠٤.

(٩٧) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص١٢٦-١٢٧؛ عطية، حسن محمد: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ص١٤٥؛ علي: سرور علي عبدالمنعم: السياسية الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي (١١٣١-١١٤٣م/٥٢٦-٥٣٨هـ)، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية البنات- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م، ص١٣٦-١٣٧.

(٩٨) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص١٢٨-١٢٩. وراجع أيضًا: عطية، حسن محمد: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ص١٤٥-١٤٦؛ علي: سرور علي عبدالمنعم: السياسية الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي، ص١٣٧-١٣٩.

(٩٩) شاور: أبو شجاع شاور بن مُجير، كان واليًا على صعيد مصر الأعلى في عهد وزارة ابن رُزيّك، ثم ما لبث أن تولى الوزارة الفاطمية عقب انقلابه على الوزير العادل بن رُزّيك سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م، فخرج عليه أبو الأشبال ضرغام بن عامر، وأعلن نفسه وزيرًا، فلجأ شاور إلى السلطان نورالدين محمود يستنجد به ضد ضرغام، ونجح بفضل مساعدته في العودة إلى مصر والتخلص من غريمه ضرغام، وتقلده الوزارة، وظل وزيرًا للخليفة الفاطمي العاضد لدين الله، حتى تم قتله والتخلص منه سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م. انظر: ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، ص١٣٧-١٣٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط.بيروت د.ت، ج٢، ص٤٣٩-٤٤٠.

(١٠٠) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، ط.١، بيروت ٢٠٠٤م، ج٢٨، ص٢١٨.

(١٠١) كونراد من مونتيفرات: هو الابن الثاني في سلسلة أبناء الماركيز وليم الأكبر من مونتفرات، صار ماركيزا لمونتيفرات سنة ١١٩٠م، ارتحل إلى الأراضي المقدسة في رحلة حج مسلح، واستقر به المقام في مدينة صور، حيث رحب أهلها به، وأصبحت له السيادة عليها. انظر: علاء رجب محمد إبراهيم النحاس: دور أسرة مونفرات في الصراع الصليبي الإسلامي، ص٩٢ وما بعدها ؛ فضيلة حسن خلف المفرجي: أسرة مونتفيرات وأثرها في الحروب الصليبية، مج٧، عدد (٢١)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، حزيران ٢٠١٥م، ص ٤٠٠.

(102) Geoffrey de Vinsauf, Richard of Holy Trinity, p.12.

وانظر أيضًا: مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج١، ص٣٩-٤٠؛ البنداري، الفتح بن علي: سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، ط.القاهرة ١٩٧٩م، ص٣٠٦؛ ١٥٣؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بفتح القدس والخليل، ج١، ص٢٨٩.

(١٠٣) راجع: Geoffrey de Vinsauf, Richard of Holy Trinity, p.12.

وأيضًا: مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج١، ص٣٩-٤٠؛ البنداري: سنا البرق الشامي، ص٣٠٦؛ ١٥٣؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بفتح القدس والخليل، ج١، ص٢٨٩.

(١٠٤) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج١، ص١٠٣.

(١٠٥) العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، ص٢٨٩؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص٢٨٢.

يضيف مصدر صليبي أن الجندي المرافق للملك ريتشارد نادى باللهجة العربية أنا الملك، فصدقه المسلمون، وألقوا القبض عليه. انظر:

Geoffrey de Vinsauf, Richard of Holy Trinity, pp.191-192.

(١٠٦) ليوبولد الخامس: ابن دوق النمسا هنري الثاني Henry II من زوجته الأميرة البيزنطية ثيودورا Theodora، ابنة أندرونيكوس كومنين Andronikos Komnenos ، ولد سنة ١١٥٧م، وتولى حكم دوقية النمسا خلفًا لوالده سنة ١١٧٧م، وظل حاكمًا لها حتى وفاته سنة ١١٩٤م. وقد جمعت الدوق علاقات غير طيبة مع الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، كان سببها اعتداء ريتشارد على أراضي النمسا أثناء مروره بها في رحلته للشرق للمشاركة في الحملة الصليبية الثالثة؛ الأمر الذي دفع بليوبولد لنصب كمين لغريمه ريتشارد عند عودته إلى بلاده. للمزيد انظر: علي أحمد السيد: دور ليوبولد الخامس دوق النمسا في الحملة الصليبية الثالثة وتداعياتها (١١٨٩- ١١٩٤ م/ ٥٨٥ - ٥٩٠ هـ)، العدد (٢٢)، الإنسانيات، كلية الآداب -جامعة دمنهور، ٢٠٠٥م، ص٢٥٠-٢٥١. وراجع أيضًا:

Beller, Steven, A Concise history of Austria, (Cambridge, UK ; New York 2006), pp.18-26.

(107)L'Estoire d'Eracles et La Conquest de la Terre d'Outremer, RHC. Occ. (Paris 1859), Tome. II, P.200 ; Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, Trans. Hubert (New York 1934), p.446.

وراجع: علي أحمد السيد: دور ليوبولد الخامس دوق النمسا في الحملة الصليبية الثالثة وتداعياتها، ص٢٨٤-٢٩٠.

(١٠٨) عن الخلاف بين ريتشارد ودوق النمسا راجع: علي أحمد السيد: دور ليوبولد الخامس دوق النمسا في الحملة الصليبية الثالثة وتداعياتها، ص٢٧٧-٢٧٩.

(١٠٩) "فن التنكر" لمحمد الأمين موسى: انظر:

https://sites.google.com/site/aseilfrihat1/-----12

(١١٠) فرقة الحشاشين الباطنية: فرقة تعد من غلاة الإسماعيلية الباطنية، ويُطلق عليهم أحيانًا النزارية نسبة إلى نزار ابن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وقد أُسست هذه الفرقة على يد الحسن بن الصبَّاح، مطلع القرن كذا، والذي اتخذ من قلعة آلموت على الساحل الشامي مركزًا له، وكان الهدف من تأسيس تلك الفرقة اغتيال قادة حركة الجهاد الإسلامي، كما شاركوا في قتل عدد من القادة الصليبيين. وكان أول ضحاياهم الوزير السلجوقي نظام الملك، ثم توالت عملياتهم الإجرامية حتى قضى عليهم الظاهر بيبرس سنة ١٢٧٢م/٦٧١هـ. للمزيد عن تلك الفرقة انظر: عشري، عثمان عبدالحميد: الأسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية (٤٩١-٦٩١هـ/١٠٩٧-١٢٩٠م)، ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص٧-٩، ٢٠-٢٢؛ برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، ترجمة محمد العزب موسى، ط.٢، القاهرة ٢٠٠٦، ص٧٤ وما بعدها ؛ سامي بن عبدالله بن أحمد الملغوث: أطلس الفرق الإسلامية في التاريخ الإسلامي، العبيكان للنشر، ط.١، الرياض ٢٠١٧، ص٣٩٧.

(١١١) لويس، برنارد: الحشاشون، ص١٩٦؛ المقدم، محمد عبدالله محمد ميهوب: الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة المنصورة عام ٢٠٠٥م، ص٥٥.

(١١٢) المقدم: الاغتيالات، ص٥٥.

(١١٣) الحشاشون، ص١٩٦.

(١١٤) جناح الدولة أو تاج الدولة، هو حُسين أتابك ابن رضوان بن تُتُش. عمل كأتابك لرضوان بن تتش، ثم تولى حكم حلب، وظل حاكمًا لها حتى تم اغتياله على يد الحشاشين سنة ٥٩٤/١١٠١هـ. انظر: عماد الدين الأصفهاني: البستان الجامع، هامش (٨)، ص٣٢١؛ عوض، محمد مؤنس أحمد : معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٦٣.

(١١٥) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٢-١٤٣؛ ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج٢، ص١٤٦؛ عشري: الأسماعيليون في بلاد الشام، ص٨٩؛ برنارد لويس: الحشاشون، ص١٤٩؛ المقدم: الاغتيالات، ص٧٨-٧٩.

يحدد عماد الدين الأصفهاني تاريخ اغتياله بسنة ٤٩٦هـ. راجع: البستان الجامع، ص٣٢١.

تكاد تتفق معظم المصادر على أن رضوان السلجوقي كان وراء مقتل جناح الدولة بتحريض وتنفيذ خلفائه الباطنية. للمزيد انظر المقدم: الاغتيالات، ص٧٩.

(١١٦) عبدالوهاب، محمد حلمي: ولاة وأولياء: السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، تقديم: رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط.١، بيروت ٢٠٠٩م، ص٦٩.

(١١٧) عن ملابس الصوفية والزهاد انظر: محمد إبراهيم: الملابس، ص٢٣٥-٢٣٧.

(١١٨) التل، عمر سليم عبدالقادر: متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي دراسة تاريخية، دار المأمون للنشر، ط.١، عمان ٢٠٠٩م، ص١٣.

(١١٩) ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج٢، ص١٤٦.

(١٢٠) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٢-١٤٣.

ثمة ملاحظة هنا تتعلق بطبيعة تنفيذ الحشاشيين لمهامهم الاغتيالية. وهي ملاحظة ستتكرر كثيرًا فيما بعد، وهي أن محاولات الاغتيال التي نفذوها كان تعتمد في الأساس على التنكر والتمويه، واستخدام السكاكين والخناجر، ولم يلجأوا مُطلقًا إلى دسّ السّمُ وغيره. كما كانت هجماتهم تتم دائمًا في وضح النهار، وفي الأماكن العامة، وعلى مسمع ومرأى من الجميع؛ وذلك بغية إثارة الرعب في قلوب الخاصة والعامة، وهو ما أكسبهم قوة، وجعلهم مصدر خوف وهلع من جانب خصومهم. كذلك لم يكن هؤلاء الفدائيين حريصين على حياتهم كحرصهم على ألا يُكتشف أمرهم، لدرجة أنهم كانوا يعمدون في بعض الأحيان إلى الانتحار عقب أداء مهمتهم، خشية الوقوع في يد خصومهم والتعرف على هويتهم.

(١٢١) مودود: هو شرف الدين مودود، أصله غير معروف، ويرجح أنه من الأتراك، تولى حكم إمارة الموصل سنة، عمل تحت إمرة السلطان محمد السلجوقي، والذي قلده إمارة الموصل سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م، وقد قام مودود بدور مهم في جهاد الصليبيين، توفى سنة ١٢٢٨م شهيدا على يد الحشاشين الباطنية. انظر: صبرة، عفاف سيد: الأمير مودود بن التونتكين أتابك الموصل ودوره في حركة الجهاد الإسلامي، دارة الملك عبدالعزيز، الدارة، سبتمبر ١٩٨٦م، مج١٢، عدد (٢)، ص ص١١٤،١١٣،١١٠، ١٣٠. وللمزيد عنه انظر: الجميلي، رشيد حميد حسن: الأمير مودود صاحب الموصل والحروب الصليبية ٥٠٢-٥٠٧هـ، مجلة الآداب، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٣٨م، مج١، عدد (١٤)، ص ص٤٦١-٤٧٦؛ رمضان، عبدالغني إبراهيم: شرف الدين مودود أتابك الموصل والجزيرة ٥٠١-٥٠٧هـ/١١٠٨-١١١٣م، مجلة كلية الآداب، كلية الآداب-جامعة الرياض، ١٩٧٦م، مج٤، ص ص١٢٩-١٥٠.

(١٢٢) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٧.

(١٢٣) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٧-١٨٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٩٦؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، نقله للعربية الأب إسحق أرملة، تقديم: جان موريس فييه، دار المشرق، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص١٣٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢٤٢؛ عشري: الأسماعيليون في بلاد الشام، ص١٠٢-١٠٣؛ برنارد لويس: الحشاشون، ص١٥١؛ الجميلي، رشيد حميد حسن: الأمير مودود، ص٤٧٤؛ رمضان، عبدالغني إبراهيم: شرف الدين مودود، ص١٤٧-١٤٨؛ صبرة، عفاف سيد: الأمير مودود بن التونتكين، ص١٣٠؛ المقدم: الاغتيالات، ص٨٢.

اختلفت الأسباب حول مقتل الأمير مودود. فقيل أن الباطنية تخوفوا منه فقتلوه، وقيل: أن ضغتكين حاكم دمشق هو من أرسل إلى الباطنية الحشاشين يطلب منهم اغتياله خشية استيلاءه على دمشق. وقد ورد أن ملك بيت المقدس بلدوين الأول أرسل إلى ضغتكين بعد مقتل مودود رسالة يقول فيها: أن أمّة قتلت عميدها، يوم عيدها، في بيت معبودها، لحقيق على الله أن يبيدها. انظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٧-١٨٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٩٦؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٣٤. وللمزيد عن أسباب مقتل مودود انظر: رمضان، عبدالغني إبراهيم: شرف الدين مودود، ص١٤٧-١٤٨؛ صبرة، عفاف سيد: الأمير مودود بن التونتكين، ص١٣٠؛ المقدم: الاغتيالات، ص٨٢-٨٤.

(١٢٤) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٧. ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٩٦؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٣٤.

(١٢٥) محمد إبراهيم: الملابس، ص٢٦٨-٢٦٩.

الراجح أن المتنكر في زي الشحاذ استخدم لتنفيذ مهمته لباس يُسمى بـ "العرى"، وهي قمصان شاعت كلباس للفقراء والمساكين آنذاك، وكانت تتسم بالطول والاتساع المفرط، كما كان لها كمان كبيران. كذلك ارتدى الشحاذون بعض الثياب الخشنة كـ "المدرع" و"الدربالة" وهي ثياب غلب على نسيجها الصوف الغليظ، وكانت تتسم ببساطة هيئتها وتفصيلها. للمزيد انظر: محمد إبراهيم: الملابس، ص٢٦٨-٢٦٩.

(١٢٦) الأفضل بن بدر الدين الجمالي: من أصول أرمينية، فوالده هو الوزير الفاطمي بدر الجمالي، تولى الوزارة خلفًا لأبيه سنة ١٠٩٤، وحتى سنة ١١٢٢م، وخلال وزارته حدث الغزو الصليبي لبلاد الشام، وفي البداية لم يدرك أهداف الصليبيين، فحاول التحالف معهم من أجل مواجهة الخطر السلجوقي، وبعد أن تبين له الأهداف الحقيقية للصليبيين ناصبهم العداء ودخل معهم في عدة معارك انتهت أغلبها بالفشل. انظر: عوض، محمد مؤنس أحمد: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٥٠-٥١.

(١٢٧) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٠٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٦٩؛ برنارد لويس: الحشاشون، ص١٥٨.

(١٢٨) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٦٩؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ج٣، ص ص٦٠-٦١، ١٠٨.

لا يُستبعد أن الباطنية كانوا وراء مقتل الأفضل بن بدر الدين الجمالي وذلك لاعتبارين أولهما، أن الأفضل كان قد قام سنة ١١٠١م/٤٨٧هـ بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بأخذ البيعة لإبنه الأصغر المُستعلي بالله على حساب أخيه الأكبر نزار الأحق بالبيعة، واضطر نزار للفرار إلى الإسكندرية معلنًا نفسه خليفة للمسلمين تحت اسم المصطفى لدين الله. الأمر الذي دفع بالأفضل إلى الخروج من القاهرة على رأس جيشه متجهًا إلى الإسكندرية، وهناك تم التخلص من نزار، وبذلك انقسمت الدعوة إلى مُستعلية ونزارية، ومن النزارية خرجت طائفة الحشاشين الباطنية. وبذلك صار لهذه الطائفة ثأرًا لدى الأفضل. ثانيهما، إن مقتل الأفضل بالسكاكين، ووسط السوق، وفي وضح النهار، هي وسيلة من وسائل الباطنية في التخلص من خصومهم. ثالثها، كذلك فإن قتله على يد ثلاثة متنكرين، هي أيضا طريقة استخدمها الباطنية

كثيرًا في القتل، حيث دأبوا على التنكر الجماعي حتى إذا ما فشل فرد، نجح الآخرون في إتمام المهمة. عن دور الأفضل في تنحية نزار الحكم انظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٣، ص ص٢٧، ٨٧؛ دفتري فرهارد: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، ترجمة سيف الدين القصير، دار الساقي، ط.٢، بيروت ٢٠١٤م، ص٤٢١-٤٢٢؛ عشري: الأسماعيليون في بلاد الشام، ص٧-٩؛ برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، ص٦٠-٦٢.

(١٢٩) سيف الدين آق سُنقُر البُرْسُقي: هو أبو سعيد آق آق سُنقُر البُرْسُقي، الملقب قسيم الدولة سيف الدين، أقطعه السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه مدينة الموصل بشمال العراق سنة ١١١٤م/٥٠٧هـ، ثم تم عزله منها، وأعاده إليها السلطان محمود بن محمد بن ملشكاه في صفر سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م. وكانت وفاته على يد الباطنية سنة ٥١٩ أو ٥٢٠هـ. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٦٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢٤٢؛ عوض، محمد مؤنس أحمد: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٥١-٥٢.

(١٣٠) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٤؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٢٣٤؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ص٥٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧٠٤؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٤١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢٤٢-٢٤٣. وانظر أيضًا: عشري: الأسماعيليون في بلاد الشام، ص١٠٥-١٠٦؛ لويس: الحشاشين، ص١٥٤؛ المقدم: الاغتيالات، ص٩١.

(١٣١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٤.

(١٣٢) الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧٠٤.

(١٣٣) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٢٣٤.

(١٣٤) تاريخ الزمان، ص١٤١

(١٣٥) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٤؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص٤٢٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧٠٤؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٤١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢٤٢-٢٤٣؛ المقدم: الاغتيالات، ص٩١.

(١٣٦) تاريخ الرهاوي، ص٢٤٤-٢٤٥.

(١٣٧) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٤.

(١٣٨) ابن العديم: زبدة الحلب، ح٢، ص٢٣٥؛ الكامل، ج٨، ص٧٠٤؛ تاريخ الزمان، ص١٤١.

(١٣٩) تاريخ الرهاوي، ص٢٤٥.

(١٤٠) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٤؛ الكامل، ج٨، ص٧٠٤؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ٢٣٤؛ تاريخ الرهاوي، ص٢٤٥؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٤١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢٤٢-٢٤٣ ؛ المقدم: الاغتيالات، ص٩١-٩٢.

(١٤١) تاج الملوك بوري: ولد سنة ١٠٨٥م، خلف والده ظهير الدين طغتكين في حكم دمشق وجنوبي بلاد الشام سنة ١١٢٨م، وظل حاكما لها حتى وفاته سنة ١١٣٢م. عنه بالتفصيل انظر: عوض، محمد مؤنس أحمد: معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص٥٩-٦٠.

(١٤٢) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٣٠ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٦-١٧؛ المقدم: الاغتيالات، ص٢٣٢-٢٣٣.

(١٤٣) المقدم: الاغتيالات، ص٢٣٣.

(١٤٤) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٣٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٠؛ لويس: الاسماعيلية، ص١٥٧؛ المقدم: الاغتيالات، ص٢٣٣.

(١٤٥) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٣٠؛ لويس: الاسماعيلية ؛ المقدم: الاغتيالات، ص٢٣٢.

(١٤٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٨؛ المقدم: الاغتيالات، ص٢٣٢.

(١٤٧) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٣٠؛ لويس: الاسماعيلية، ص١٥٧؛ المقدم: الاغتيالات، ص٢٣٤.

(١٤٨) عن تفاصيل محاولة الاغتيال تلك انظر: المقدم: الاغتيالات، ص٢٣٨-٢٣٩.

(١٤٩) سنان شيخ الجبل: هو سنان بن سليمان بن محمد أبو الحسن البصري، المعروف براشد الدين، ولد في قؤرية عقر السودان، قرب مدينة البصرة لأسرة شيعية إمامية، وذلك في سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م تقريبًا، ونشأ في البصرة حيث أصبح معلمًا وتحول إلى الإسماعيلية النزارية وهو في سن الشباب، ثم ذهب إلى قلعة آلموت، والتحق هناك بمدرستها، فدرس أصول العقيدة الإسماعيلية وعقائد فلسفية أخرى، تولى زعامة طائفة الحشاشين الباطنية وصار من أبرز رموزها، وظل شيخًا لتلك الطائفة حتى وفاته سنة ١١٩٣م/٥٨٩هـ. انظر: دفتري فرهارد: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، ص٦٠٧-٦٠٨.

(١٥٠) عماد الدين الأصفهاني: البستان الجامع، ص٤١٠؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٩٦؛ البنداري: سنا البرق الشامي، ص١٠٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٤١٧-٤١٨؛ الروضتين، ج٢، ص٣٥٠؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٤٤-٤٥؛ وانظر: برنارد لويس: الحشاشون، ص١٦٦. وراجع المقدم: الاغتيالات، ص٢٣٩-٢٤٠.

(١٥١) البنداري: سنا البرق الشامي، ص١٠١؛ ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٤١٨؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٤٥؛ برنارد لويس: الحشاشون، ص١٦٦.

(١٥٢) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٣٠٧ ؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص٢٩٨-٢٩٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤١٨-٤١٩؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٣٨١-٣٨٢؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٢٣؛ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص٢٢٥-٢٢٦؛ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص١٦٣-١٦٥؛ برنارد لويس: الحشاشون، ص١٧٠؛ النحاس، علاء رجب محمد إبراهيم: دور أسرة مونفرات في الصراع الصليبي الإسلامي ص٢٣٨ وما بعدها. وانظر أيضًا:

Ernoul, Le Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier, (ed.) Mas Latrie, (Paris, 1871), pp. 289-290 ; Geoffrey de Vinsauf, Richard of Holy Trinity, p.221.

(153) Richard of Holy Trinity, p.221.

(١٥٤) الفتح القسي، ص٣٠٧. وانظر: Richard of Holy Trinity, p.221.

(١٥٥) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص١٦٣-١٦٤. وانظر أيضًا:

Geoffrey de Vinsauf, Richard of Holy Trinity, pp.221-222.

(١٥٦) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٣٠٧. وانظر:

Geoffrey de Vinsauf, Richard of Holy Trinity, p.221.

اختلفت المصادر حول السبب الذي من أجله أقدم الباطنية على اغتيال الماركيز كونراد من مونتيفرات. فيرى كل من العماد الأصفهاني، وابن شداد، وأبو شامة، وصاحب كتاب ذيل وليم الصوري، روايات تفيد أن الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد استعان بالحشاشين الباطنية للتخلص من الماركيز. بينما ينفي المؤرخ المجهول صاحب كتاب الحرب الصليبية الثالثة اضطلاع ريتشارد بتلك المؤامرة، يُورد في ذلك رسالة من شيخ الجبل إلى ليوبولد دوق النمسا، وفيها يبريء شيخ الجبل الملك ريتشارد من قتل كونراد، ويذكر أن اغتيال كونوراد على يد الحشاشين جاء على خلفية قتله لواحد منهم كان قد تم القبض عليه في صور. انظر: الفتح

القسي، ص٣٠٧ ؛ النوادر السلطانية، ص٣١٠؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص٢٩٨-٢٩٩؛ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص٢٢٥-٢٢٦؛ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص١٦٣-١٦٥؛ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص ص١٦٥-١٦٦، ص٢٨٤-٢٨٦. لويس، برنارد: الحشاشون، ص١٧١. النحاس: دور أسرة مونفرات في الصراع الصليبي الإسلامي ص٢٤٠ وما بعدها. وراجع أيضًا:

Ernoul, Le Chronique d'Ernoul, p. 290. Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, Trans. Hubert (New York 1934), p.335; Al-Mayman, Richard the Lion Heart and Salah Ad-Din, pp.193-194 ; Geoffrey de Vinsauf, Richard of Holy Trinity, pp.221-223.

بينما ينفرد ابن الأثير برواية مفادها أن صلاح الدين أرسل إلى شيخ الجبل سنان يطلب منه قتل ريتشارد قلب الأسد، وكونراد من مونتيفرات، فوجه شيخ الجبل باطنيين في هيئة الرهبان لقتل كونراد، بينما رفض قتل ريتشارد "لئلا يخلو وجه صلاح الدين من الفرنج ويتفرغ لهم". راجع: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤١٨-٤١٩. لويس، برنارد: الحشاشون، ص١٧١.

(١٥٧) ظهير الدين طُغتكين: طُغتكين بن عبدالله، أحد مماليك تُتش بن ألب أرسلان، لُقِب بالعديد من الألقاب أشهرها: ظهير الدين، كذلك لُقِبَ بالأتابك، والذي استمده لكونه أول مؤسس لحكم البوريين في دمشق، بدأ حياته العسكرية بالعمل ضمن حُرّاس السلطان ألب أرسلان، وفي سنة آل إليه حكم دمشق، ١١٠٤م/٤٩٧هـ ليؤسس فيها للحكم البوري والذي استمر زهاة نصف قرن، توفى سنة ١١٢٨م/ ٥٢٢هـ وخلفه في الحكم إبنه تاج الملوك بوري. انظر: الشمري، غانم شيحان جويعد الخليل: الأتابك ظهير الدين طُغتكين، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، ط.١، الكويت ٢٠٢٠م، ص٨٨ وما بعدها.

(١٥٨) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٨. وانظر أيضًا: الشمري: الأتابك ظهير الدين طُغتكين، ص١٦١.

(١٥٩) الشمري: الأتابك ظهير الدين طُغتكين، ص١٦٢.

(١٦٠) نبيل حمدي الشاهد: العجائبي في السرد العربي القديم، ص ص٢٧٢-٢٧٣، ٢٨٣.

(١٦١) صبيحة رشيد رشدي: الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية، مؤسسة المعاهد الفنية، ط.١، القاهرة ١٩٨٠م، ص٣؛ توماس كارليل: فلسفة الملابس، ترجمة طه السباعي، مكتبة الأسرة، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٣٧-٣٩؛ محمد إبراهيم: تطور الملابس، ص٩؛ الشاهد، نبيل حمدي: العجائبي في السرد العربي القديم، مائة ليلة وليلة والحكايات العجيبة والأخبار الغريبة نموذجًا، الوراق للنشر والتوزيع، ط.١، عمان ٢٠١١م، ص ص٢٧٢-٢٧٣، ٢٨٣.

(١٦٢) الشاهد، نبيل حمدي: العجائبي في السرد العربي القديم، ص٣٨٣.

(١٦٣) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٥.

(١٦٤) عطية، حسين محمد: تشريعات الصليبيين دراسات في قوانين أنطاكية ومملكة بيت المقدس، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية ٢٠١٢م، ص٢٥٣.

في الثالث والعشرين من يناير ١١٢٠م/١٩ شوال سنة ٥١٣م، دعا الملك بلدوين الثاني إلى عقد مجلس بنابلس، حضره جيرموند بطريرك بيت المقدس، وعدد من كبار العلمانيين ورجال الدين، وكان الداعي لعقد هذا المجلس أمران: الأول بسبب الأوضاع الاقتصادية السيئة التي أمست فيها مملكة بيت المقدس نتيجة ما سببته هجمات الجراد والفئران والزلازل، فضلا عن التردي الأخلاقي الذي وصل إليه الصليبيون. والثاني: تنامي قوة المسلمين وسعيهم نحو الوحدة، وضغطهم على الكيان الصليبي، ومن أجل إصلاح ذلك أصدر المجلس قرارات بلغت خمسة وعشرين قرارًا، ما يهمنا منها القرار الذي قضى بحظر ارتداء المسلمين من الرجال والنساء زيًا افرنجيًا، وإلا تحوّل إلى العبودية. عن تفاصيل مجمع نابلس انظر: عطية، حسين محمد: تشريعات الصليبيين، ص٢٣١-٢٣٤.

(١٦٥) أبو عون، عبدالرحيم حسين سعدالدين: لإقطاعية حيفا ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي (٤٩٣-٦٩٠هـ/١١٠٠-١٢٩١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا-جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين ٢٠٠٤م، ص١٠٠.

(١٦٦) التَلثّم: هو شدّ طرف ثوب على الفم والأنف حتى لا يُعرف. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج٣، ص١٩٩٣.

(١٦٧) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٢٨.

(١٦٨) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٢٨.

(١٦٩) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٢٨.

(١٧٠) الاعتبار، ص ٢١١.

(١٧١) توماس كارليل: فلسفة الملابس، ص٦١.

(١٧٢) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٣٣١-٣٣٢.

(١٧٣) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص٢١٣-٢١٤.

(١٧٤) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص٢١٥-٢١٧.

(١٧٥) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج١، ص٣٩-٤٠؛ البنداري: سنا البرق الشامي، ص٣٠٦؛ ١٥٣. وانظر أيضًا:
Geoffrey de Vinsauf, Crosade of Richard, p.77.

(١٧٦) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص١٦٣-١٦٤.

(١٧٧) مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص١٦٣-١٦٥؛ الفتح القسي، ص٣٠٧ ؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص٢٩٨-٢٩٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤١٨-٤١٩؛ ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢، ص٣٨٣؛ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص٢٢٥-٢٢٦؛ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص١٦٣-١٦٥؛ برنارد لويس: الحشاشون، ص١٧٠.

(١٧٨) شعبان حمزة: الملابس والزينة، ص١٠.

(١٧٩) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٢٢١-٢٢٢؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٠٦ ؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص١٥٣-١٥٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٨٥. عاشور، سعيد عبدالفتاح: الحركة الصليبية، ج٢، ص١٢٩.

(١٨٠) شامي، حكيمة: العقيدة الإسلامية في الغرب الإسلامي، دار الكتب العلمية، ط.بيروت ١٩٧١م، ص١٣.

(١٨١) النحلاوي، عبدالرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، ط.القاهرة ٢٠٠٧، ج١، ص٦٥.

(١٨٢) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص٢٣٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٠؛ لويس: الاسماعيلية، ص١٥٧؛ المقدم: الاغتيالات، ص٢٣٣.

(١٨٣) راجع: مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص١٦٣-١٦٥؛ الفتح القسي، ص٣٠٧ ؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص؛ أبو شامة: الروضتين، ج٤، ص٢٩٨-٢٩٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤١٨-٤١٩؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٣٨١-٣٨٢؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٢٣؛ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص٢٢٥-٢٢٦؛ برنارد لويس: الحشاشون، ص١٧٠؛ النحاس: دور أسرة مونفرات في الصراع الصليبي الإسلامي ص٢٣٩. وراجع أيضًا: Ernoul, Le Chronique d'Ernoul, p. 290. Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, p.335.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية

- Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, Trans. Hubert (New York 1934).
- Ernoul, Le Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier, (ed.) Mas Latrie, (Paris, 1871).
- Geoffrey de Vinsauf, Richard of Holy Trinity Itinerary of Richard I and others to the Holy Land, trans. A Classical Scholar and A Gentleman Well-Read in Midiaeval History, (In Parentheses Publications Medieval Latin Series, Cambridge, Ontario 2001).
- L'Estoire d'Eracles et La Conquest de la Terre d'Outremer, RHC. Occ. Tome II, (Paris 1859).

ثانيًا: المصادر العربية.

- **ابن الأثير** (عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري ت١٢٣٢م/٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، ١٢جزء، دار صادر، ط. بيروت ١٩٧٩م.
- **أسامة بن منقذ:** الاعتبار، تحقيق وتعليق: عبدالكريم الأشتر، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت ٢٠٠٣م.
- **الأصفهاني،** العماد الكاتب (محمد بن محمد ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م): الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح، تقديم: حامد زيان غانم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- **الأصفهاني،** عماد الدين: البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، دراسة وتحقيق: محمد علي الطعاني، مؤسسة حمادة، ط.أربد ٢٠٠٣م.
- **البنداري** (الفتح بن على بن محمد البنداري الأصفهاني ت٦٢٢هـ/١٣٢٥م): سنا البرق الشامي(هو اختصار البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني)، تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، ط.القاهرة ١٩٧٩م.
- **الحنبلي** (مجير الدين أبو اليمن القاضي مجير الدين): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، إعداد وتحقيق ومراجعة: عدنان يونس عبدالمجيد أبو تبانة، مكتبة دنديس، ط.١، عمان ١٩٩٩م، مج١.

- **ابن خلكان:** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط.بيروت د.ت، ج٢.
- **أبو شامة:** كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط.١، بيروت ١٩٩٧م.
- **ابن شداد** (بهاء الدين المعروف بابن شداد ت ١٢٣٤م/٦٣٢هـ): سيرة صلاح الدين المسماة النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط.القاهرة ١٩٦٤م.
- **ابن العديم** (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م): زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان، ٣ أجزاء، ط.دمشق ١٩٤٥م.
- . **ابن القلانسي** (أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ت ١١٦٠م/٥٥٥هـ): ذيل تاريخ دمشق، نشره ووضع فهارسه وقدم له هـ.ف. ط.آمدروز، ليدن ١٩٠٨م.
- **المقريزي** (تقي الدين أحمد بن علي ت ١٤٤٢م/٨٤٥هـ): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي أحمد، ٣ أجزاء، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط.القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- **النويري،** (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، ط.١، بيروت ٢٠٠٤م، ج٢٨.
- **ابن واصل** (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، ٤ أجزاء، دار الكتب المصرية، ط.القاهرة ١٩٥٣م.
- **ياقوت الحموي** (شهاب الدين أبي عبد الله البغدادي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر، د.ت.

ثالثاً: المصادر المعربة

- **أوردیك فیتالي:** التاريخ الكنسي، ضمن كتاب الموسوعة الشامية، ترجمة وتحرير: سهيل زكار، دار التكوين، ط. دمشق٢٠٠٨م، ج٤٨.
- **بطرس تدیبود** : تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله إلى الإنجليزية مع مقدمة وهوامش جون هيوج هيل ولوريتال هيل ، ونقله إلى العربية وعلق عليه حسين محمد عطية ، تقديم : جوزيف نسيم يوسف ، دار المعرفة الجامعية ، ط.الإسكندرية ١٩٩٩م.

- **ريموندأجيل:** تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى الانجليزية مع مقدمة وهوامش جون هيوم هيل ولوريتال هيل، نقله إلى العربية وعلق عليه حسين محمد عطية، تقديم : جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية ، ط.الإسكندرية ١٩٨٩م.
- **السرياني** (مار ميخائيل الكبير بطريرك أنطاكية المعروف بميخائيل السرياني): تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ت. مار غريغوريوس صليبا شمعون، ٣ أجزاء ، ط١، دار ماردين، حلب ١٩٩٦م.
- **ابن العبري** (أبو الفرج جمال الدين ابن العبري ت ٧٨٥هـ/١٢٥٦م): تاريخ الزمان، نقله إلى العربية الأب إسحق أرملة، دار المشرق، ط.بيروت ١٩٨٦م.
- **فوشيه الشارتري:** الوجود الصليبي في الشرق العربي(الاستيطان الصليبي في فلسطين) ترجمة: ودراسة قاسم عبده قاسم، منشورات ذات السلاسل، ط.الكويت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- متىَّ الرَّهاوي: تاريخ متىَّ الرَّهاوي، ترجمة محمود محمد الرويضي وعبدالرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات والنشر والتوزيع، أربد ٢٠٠٩م.
- **مجهول** (فارس صليبي في جيش بوهيموند الأول عاصر القرن ٥هـ/١١م): أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة،(د.ت).
- **مجهول:** الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريشارد) ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- **مجهول:** ذيل وليم الصوري، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.القاهرة ٢٠٠٢م.
- **وليم الصوري:** الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، ٤ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط.القاهرة ١٩٩١-١٩٩٥م.
- يوحنا فورزبورغ: وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق: سعيد البيشاوي، دار الشروق، ط.١، عمان ١٩٩٧م.

رابعاً: المراجع الأجنبية.

- Alban Butler and Donald Attwater, "St Hildegund Virgin", Butler's Lives of the Saints, (Library of Congress Catalog C; London 1981).
- Beller, Steven, A Concise history of Austria, (Cambridge, UK ; New York 2006).

- Conor Kostick, Women and the first Crusade: Prostitutes or Pilgrims?, in: The Social Structure of the First Crusade, (Brill Academic Publishers, London 2023).
- Grousset Rene, Histoire des Croisades, (Editions Tallander, paris 1981).
- Helen J. Nicholson, "Women's Involvement in the Crusades" in: The Crysader World, (ed.), Adrian J. Boas, (Routledge, London and New York 2016).
- Piers Paul Read, The Templars, (London 1999)
- Malkiel D., "The Underclass in the first Crusade: A Historiographical Trend", Journal of Medieval History 28, (2002).
- Yewdale, Bohemond I, Prince of Antioch, (Amsterdam 1970).

خامسا: المراجع العربية والمعربة.

- **إبراهيم**، رجب عبدالجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، تقديم: محمود فهمي حجازي، مراجعة: عبدالهادي التازي، دار الآفاق العربية، ط.١، القاهرة ٢٠٠٢م.
- **إبراهيم**، محمد: تطور الملابس في المجتمع المصري من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، مكتبة مدبولي، ط.١، القاهرة ٢٠٠٧م.
- **برنارد لويس**: الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، ترجمة محمد العزب موسى، ط.٢، القاهرة ٢٠٠٦م.
- **التل**، عمر سليم عبدالقادر: متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي دراسة تاريخية، دار المأمون للنشر، ط.١، عمان ٢٠٠٩م.
- **توماس كارليل**: فلسفة الملابس، ترجمة طه السباعي، مكتبة الأسرة، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- **الجميلي**، رشيد حميد حسن: الأمير مودود صاحب الموصل والحروب الصليبية ٥٠٢-٥٠٧هـ، مجلة الآداب، كلية الآداب- جامعة بغداد، مج١، عدد (١٤)، ١٩٣٨م.
- **حسين**، علي: "تاريخ الأراتقة في مدينة ماردين"، العدد (٦)، سنة ٢٠٢٠م.
- **حمزة**، شعبان: الملابس والزينة في المجتمع البيزنطي في العصور الوسطى دراسة تاريخية حضارية"، الدار الثقافية للنشر، ط.١، القاهرة ٢٠١٦م.

- **دفتري** فرهارد: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، ترجمة سيف الدين القصير، دار الساقي، ط.٢، بيروت ٢٠١٤م.
- **رمضان**، عبدالغني إبراهيم: شرف الدين مودود أتابك الموصل والجزيرة ٥٠١-٥٠٧هـ/١١٠٨-١١١٣م، مجلة كلية الآداب، كلية الآداب-جامعة الرياض، ١٩٧٦م.
- **زيد**، أسامة زكي: حملات الرملة الثلاث ضد الصليبيين في عهد الوزير الفاطمي الأفضل (١١٠١-١١٠٥م/٤٩٥-٤٩٩هـ)، ضمن كتاب: دراسات في تاريخ العصور الوسطى، ط. الإسكندرية ٢٠٠٦م .
- **السيد**، علي أحمد: دور ليوبولد الخامس دوق النمسا في الحملة الصليبية الثالثة وتداعياتها (١١٨٩- ١١٩٤ م/ ٥٨٥ - ٥٩٠ هـ)، العدد (٢٢)، الإنسانيات، كلية الآداب -جامعة دمنهور، ٢٠٠٥م
- **سلامة**، جلال حسني: دور النساء الأوربيات في الحملة الصليبية الثالثة بعد تحرير الأراضي المقدسة عام ١١٨٧م، العدد (٤٩)، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، يونيو ٢٠١٩م.
- **سليمان**، حجازي عبد المنعم (دكتور): السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس عهد الملك عموري الأول (١١٦٣-١١٧٤م/٥٥٨-٥٦٩هـ)، دار الآفاق العربية، ط.القاهرة ٢٠١٤م.
- **شامي**، حكيمة: العقيدة الإسلامية في الغرب الإسلامي، دار الكتب العلمية، ط.بيروت ١٩٧١م.
- **الشاهد**، نبيل حمدي: العجائبي في السرد العربي القديم، مائة ليلة وليلة والحكايات العجيبة والأخبار الغريبة نموذجًا، الوراق للنشر والتوزيع، ط.١، عمان ٢٠١١م.
- **الشمري**، غانم شيحان جويعد الخليل: الأتابك ظهير الدين طُغتكين، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، ط.١، الكويت ٢٠٢٠م.
- **صبرة**، عفاف سيد: الأمير مودود بن التونتكين أتابك الموصل ودوره في حركة الجهاد الإسلامي، دارة الملك عبدالعزيز، الدارة، مج١٢، عدد (٢)، سبتمبر ١٩٨٦م،
- **صبيحة** رشيد رشدي: الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية، مؤسسة المعاهد الفنية، ط.١، القاهرة ١٩٨٠م،

- **عاشور**، سعيد عبدالفتاح (دكتور): الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط.٢، القاهرة ١٩٧١م.
- **عبدالقوي**، زينب: الإنجليز والحروب الصليبية (١١٨٩-١٢٩١م)، القاهرة ١٩٩٦م.
- **عبدالوهاب**، محمد حلمي: ولاة وأولياء: السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، تقديم: رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط.١، بيروت ٢٠٠٩م.
- **عشري**، عثمان عبدالحميد (دكتور): الإسماعيليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية (٤٩١-٦٩١هـ/١٠٩٧-١٢٩٠م)، كلية الآداب جامعة القاهرة بالخرطوم ١٩٨٣م.
- عطية، حسين محمد: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م/٥٦٧-٦٦٦هـ)، تقديم: جوزيف نسيم يوسف و بيتر وليام إدبيوري، دار المعرفة الجامعية، ط.١، الإسكندرية ١٩٨٩م.
- _____ تشريعات الصليبيين دراسات في قوانين أنطاكية ومملكة بيت المقدس، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية ٢٠١٢م.
- **عوض**، محمد مؤنس أحمد (دكتور): معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ، القاهرة ٢٠١٥م.
- **فاضل**، علي رمضان: ريتشارد قلب الأسد فارس أوروبا الأول، الجيزة ٢٠١١م.
- محمود، هنادي السيد: مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد الملك بلدوين الأول (١١٠٠٤٩٤-٥١٢هـ/١١٠٠- ١١١٨م)، دار العالم العربي، ط. القاهرة ٢٠٠٨م.
- **الملغوث**، سامي بن عبدالله بن أحمد: أطلس الفرق الإسلامية في التاريخ الإسلامي، العبيكان للنشر، ط.١، الرياض ٢٠١٧م.
- **المفرجي**، فضيلة حسن خلف: أسرة مونتفيرات وأثرها في الحروب الصليبية، مج٧، عدد (٢١)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، حزيران ٢٠١٥م
- **النحلاوي**، عبدالرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، ط.القاهرة ٢٠٠٧،
- **نعينع**، سهير: "جي دو لوزينيان وصلاح الدين الأيوبي بين الحرب والسلام، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، الإسكندرية ٢٠٠٤م.

خامسًا: الرسائل العلمية الأجنبية.

- Al-Mayman, Al-Jouharah Bent Saleh Ben Abd-Arrahman, Richard the Lion Heart and Salah Ad-Din Al-Ayyubi: A historical com parative study, (Unpublished Ph.D Thesis), The Florida State University, 1993, pp.37-38.

سادسًا: الرسائل العلمية العربية.

- **أبو عون**، عبدالرحيم حسين سعدالدين: لإقطاعية حيفا ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي (٤٩٣-٦٩٠هـ/١١٠٠-١٢٩١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا-جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين ٢٠٠٤م.
- **النحاس**، علاء رجب محمد إبراهيم: دور أسرة مونفرات في الصراع الصليبي الإسلامي في الشرق الأدني الإسلامي، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة دمنهور عام ٢٠١٤م.
- **سلامه**، إبراهيم خميس إبراهيم: العلاقات السياسية بين جماعة فرسان الداوية والمسلمين فى بلاد الشام (١١٩٣-١٢٩١م/٥٨٩-٦٩٠هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٣م.
- **علي**، سرور على عبد المنعم (دكتور): السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك فولك الأنجوي ١١٣١-١١٤٣م/٥٢٦-٥٣٨هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية بنات عين شمس عام ٢٠٠٠م.
- **المقدم**، محمد عبدالله محمد ميهوب: الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة المنصورة عام ٢٠٠٥م.

سابعًا: المواقع الإلكترونية

- https://sites.google.com/site/aseilfrihat1/-----12
- https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=512877